قافلة الزيت

جمادى الآخرة ١٣٨٧
سبتمبر - اكتوبر ١٩٦٧



بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

صورة الغلاف

مبنى السكة الحديد في المدينة المنورة ، وبجواره احد المساجد العامرة

تصوير عبد اللطيف يوسف

تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

القافلة تسير

الحلم الدائم

حلم دغدغ خيال الانسان منذ وجوده على سطح الأرض . ولعل جل تفكيره كان منحصرا في ابتكار طريقة لتحقيقه . ولم يمض عليه وقت طويل حتى اهتدى الى فكرة تدجين الحيوان واستخدامه ثم الى اختراع العجلة وصنع العربات .. فكان له بعض ما تمنى .

الإخلاد الى الراحة وانجاز العمل بأقل جهد ممكن .

ومضت الحال كذلك قرونا طويلة . لكن طموح الانسان أبى أن يقف به عند هذا الحد . لقد كان يطمح دائما الى التحكم بالمزيد من الطاقة واستغلالها لخيره . فاهتدى بعد لأي الى اسراج قوى الرياح العاتية فأدار الطواحين والنواعير وحرك السفن . ثم ما لبث أن سخر البخار مستفيدا من الطاقة الحرارية المختزنة في الاخشاب ومناجم الفحم الحجري ، فسير به السفن والقاطرات وأدار المصانع وخط بذلك سطورا ذات شأن في كتاب تقدمه الحضاري .

وبعد فترة من الزمن التقط أنفاسه اللاهثة وراح يبحث عن مصادر أخرى للطاقة فوجد . وتوافرت لديه الآلات لاستخراج هذه المصادر وتحويلها الى كهرباء أو قوى حركية أو حرارة ، فحقق بذلك جزءا كبيرا من الحلم الذي كان يراوده .. حلم الراحة والانتاج في آن واحد . واليوم تقوم الآلة بحرث الأرض وسفلتة الطرقات وحفر الآبار وحمل الأثقال ونقل الانسان ومتاعه وتبريد طعامه وتكييف هواء منزله الى غير ذلك من الأمور التي أصبحت طبيعية جدا في حياتنا الحاضرة .

أما مصادر الطاقة المتوفرة لدينا اليوم فكثيرة وأهمها اطلاقا الزيت وغيره من المواد الايدروكربونية ثم الفحم الحجري والطاقة النووية والخشب ومساقط المياه وقوة الرياح . وهناك مصادر للطاقة يحاول الانسان الاستفادة منها باستغلالها استغلالا اقتصاديا مثل الطاقة الشمسية والحرارة المتدفقة من باطن الأرض ، كالبراكين مثلا ، وطاقة المد والجزر والطاقة المتولدة من التفاعل الكيمي ، كخلية الوقود ، وحتى طاقة الكهرباء الجوية .

ومما لا شك فيه أن الانسان على الرغم من تقدمه العلمي ما زال يبذر مصادر الطاقة المتوفرة لديه بشكل يفوق الوصف . ولعل تبذيره يرجع مبدئيا الى عجزه الكبير عن تحويل الطاقة من شكل الى آخر بكفاءة معقولة . ويكفي للدلالة على هذا أن نسوق مثلا ثبتت صحته العلمية وهو أننا اذا حرقنا كمية من الوقود تحتوي على مقدار مائة حصان ساعة لتشغيل مولد كهربائي يعمل بالبخار نحصل على مقدار اثنين وعشرين حصانا ساعة من الطاقة الكهربائية ، وعند نقل هذه الطاقة من محطة التوليد الى المستهلك نخسر جزءا كبيرا منها فيبقى لدينا حوالي ستة عشر حصانا ساعة . واذا استفدنا من هذه الطاقة في الاضاءة مثلا فانها تعطينا من الضوء ما يعادل ٣,٥ حصانا ساعة فقط . ومن هذا نرى أن الخسارة الناتجة كبيرة للغاية .

وهكذا ، فإن الانسان في بحثه الدائم عن المزيد من مصادر الطاقة لا بد له من التفكير في الحصول على أكبر فائدة ممكنة من الطاقات المتوفرة لديه الآن .

وما هذا كله سوى مراحل يقطعها في طريق التقدم لتوفير الخير والرفاه للجميع .

فؤاد الريس

قافلة الزيت

العدد السادس — المجلد الخامس عشر

تصدر شهريا عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا

مديرها ورئيس تحريرها سيف الدين عاشور

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ . الظهران . المملكة العربية السعودية

أين هو كهف أهل الكهف ؟

بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري

منذ وعينا قصة أهل الكهف الواردة في الذكر الحكيم ونفوسنا تتطلع الى رؤية هذا الكهف الذي آوى اليه الفتية الاطهار الذين آمنوا بربهم وهربوا من جحيم الوثنية والطغيان في أيام دقيانوس . وتمضي السنون ، وتهيء الأقدار لنا رحلة الى الأردن . واذا بنا في أصيل يوم من أيام جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ يطلب منا مندوبا الحكومة الأردنية الهاشمية المرافقان لنا أن نستعد لزيارة الكهف الواقع قريبا من عمان بشمالها الغربي . وهكذا امتطينا السيارتين اللتين جعلتهما وزارة الاعلام الأردنية تحت تصرفنا واتجهنا صوب الكهف . وفي نحو ربع ساعة كنا قد بلغناه .

وصف الكهف وما حوله

وهذا الكهف هو غير مرتفع ويقع في داخل سفح جبل ، ويدخل اليه الانسان من فتحة مرتفعة بعض الشيء ، وسقفه ليس بالواطيء ولا بالعالي . هو بين بين .. وبه نقوش رومانية منقورة في داخله على بعض الصخور العظيمة المكونة لجدرانه . وتوجد « كوة » مفتوحة الى السماء في داخل الكهف القصي ، تهبط منها أشعة الشمس محصورة ، فتدخل شيئا من النور الى الكهف اذا توسطت الشمس كبد السماء ، فهو متنفس علوي للكهف . أما المتنفس الثاني والأهم فهو بابه المتجه صوب الشمال .

وفي مدخل الكهف « بهو » أشبه شيء بالدهليز كما يدعى لدينا سابقا ، وبالصالة كما يعرف الآن . والدهليز أقرب مكان الى الباب دائما . وهناك في داخل الكهف توابيت ضخمة قيل لنا أنها كانت أضرحة أصحاب الكهف السبعة . وفي خارجه مسجد ذو منبر مكشوف ، وقيل لنا أن صلاح الدين بن أيوب بناه أو جدده ، ومئذنة تعلو الكهف من جانبه ، ومجرى ماء صناعي قديم . والى الغرب من الكهف بمسافة ليست بعيدة جدا يقوم جبل تعلو قمته وسفحه بيوت وأكواخ مسكونة من قبل أهل بادية متحضرين ترعى أغنامهم فيما حولهم . وقيل لنا أن اسمه (الرقيم) وأرانا المرشد ، الاستاذ عز الدين التل ، كيف أن الشمس اذا طلعت صباحا تميل عن داخل الكهف جهة اليمين واذا غربت تعدل ذات الشمال . وأهل الكهف اللاجئون اليه والراقدون في وسطه بمنجاة عن أشعة الشمس المحرقة بينما يهب عليهم النسيم البارد كل وقت من مدخل الكهف الشمالي . و « الدهليز » الذي مرّ بك وصفه يبدو — كما رواه لنا عز الدين — أنه هو « الوصيد » المقصود في القرآن .. لأن من معاني الوصيد الباب الذي يوصد .. (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) .

والمسجد المبني حالا بجوار الكهف لم يكن — فيما أرى — المسجد المذكور في القرآن المجيد : (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) . ذلك لأن طراز بنائه اسلامي ، وربما كان يقوم على أساس المسجد الأول أو بالقرب منه .

من كل ما سبق بيانه يتراءى لكاتب هذه السطور — علميا — أن « كهف أهل الكهف » هو هذا المكان بالذات . ذلك لأن الله تعالى أكد لنا في محكم كتابه أن ما يقصه علينا من نبئهم هو الحق الذي لا مرية فيه : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) . ونضيف الى ذلك ما توصلنا اليه من دراسة التاريخ واستقراء قصص القرآن الحكيم من انه انما كان يتحدث في قصصه لعرب الجاهلية المعاصرين للرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، عن الأمم الخالية ومواقعها التي يعرفها المخاطبون ، وتنحصر دائرتها الكبيرة في المنطقة التي تقع في شمالي شبه جزيرة العرب ابتداء من مشارف الشام على حدود الحجاز ، وبشماله حتى أقصى حدود الشام العربية . ويدخل في محيط هذه الدائرة كل من الحجاز والأردن وفلسطين وسوريا ، ويندرج في محيط الدائرة

بالتبعية بلاد مصر .. بالنسبة لأن ما روى من قصص موسى ويوسف عليهما السلام وفرعون موسى في أرض مصر هو في الأساس منبثق من أرض الشام . لأن هذين النبيين هما في الأصل من سكان فلسطين . وفرعون موسى أصله عربي من الهكسوس الذين هاجروا الى ديار مصر واستوطنوها وحكموها فترة من الزمن القديم .

دوائر أثرية أخرى

وهناك دائرة صغيرة أخرى أيضا تحدثت عنها قصص القرآن وهي جنوب الجزيرة العربية .. بما بعث فيها هود الى قومه عاد وبما ذكر عن أصحاب الأخدود في نجران ، وبما ذكر عن تبع وسبأ في اليمن . ودائرة أخرى أصغر وردت في القرآن وهي (بابل) بالعراق . وكل هذه الجهات هي من بلاد العرب ومما يعرفه العرب المخاطب بهم القرآن . ولا يدخل في معلوماتي أن القرآن تحدث عن غيرها اللهم الا أن يكون عن فارس (اشارة لا صراحة) و « الروم » ، وهما يمثلان الامبراطوريتين اللتين كانتا تجاوران بلاد العرب من شرق وشمال ، وتحتلان بعض مدنهم وأريافهم . ومن هذه الجهة عرفوهم ومن هذه الجهة تحدثوا وتجادلوا مع الصحابة فيمن يفوز منهما بالظفر في المعارك الطاحنة الدائرة بينهما أيام ظهور الاسلام . فبشر الله المؤمنين في مكة بأنه سينصر حتما الروم أهل الكتاب على فارس الوثنية ، وفي ذلك بشارة معنوية لنصرة الاسلام على الشرك . وقد عبر القرآن خير تعبير وأبلغه عن تحقيق النصر آخر الأمر كذلك للمؤمنين على المشركين في مكة المكرمة وتحقق وعد الله الصادق بفتح مكة (بأن نصر الروم على فارس) .

أما الأقطار النائية عن بلاد العرب كالقسطنطينية وما حولها ، فلأنها لم تكن مواطن رسالات أنبياء الله الى خلقه لـم يتحدث عنها القرآن المجيد — فيما أعلم — ولا نوه لنا بما سبق أن جرى عليها من أحداث خطيرة وحروب مبيدة مثيرة .

عود على بدء

والوصف الذي شاهدناه في الكهف هو مطابق لما جاء عنه في القرآن الحكيم . فباب الكهف شمالي واذا طلعت الشمس على من بداخله لا تصل اليهم . انها تميل ذات اليمين . واذا غربت تميل ذات الشمال (وهم في فجوة منه) وهذه هي الفجوة نراها رأي العين . وكلبهم حارسهم كان مربضه بهذا الدهليز الذي هو مدخل الكهف وكأني أراه باسطا ذراعيه بالوصيد . والوصيد هو الباب في اللغة العربية لأنه يوصد أي يغلق . وهذا هو جبل الرقيم بجانبنا الى الغرب قليلا نراه رأي العين . واسمه لا يزال كما كان يعرفه العرب قديما هو (الرقيم) . وها هو ذا المسجد الى جانب الكهف ، ولعله بني على أسسه .

وعلى ضوء هذه الدراسة المزدوجة نستطيع أن نقول مرة أخرى بدون تحفظ : أن هذا هو « الكهف » وهذا هو « الرقيم » . والرقيم كما ذكره ياقوت في معجمه جبل يعرفه العرب القدامى بهذا الاسم(١) وقال فيه كثير يمدح يزيد ابن عبد الملك :

يزرن على تنائيه يزيدا
بأكتاف الموقر والرقيم

مناقشة لياقوت الحموي

ومع أن ياقوتا — في مادة الرقيم — بالمجلد الثاني من « معجمه » ركن الى أن الكهف ليس هو القريب من عمان وانما هو من بلاد الروم بين عمورية ونيقية ، وبينه وبين طرطوس عشرة أيام أو أحد عشر يوما ودليله على ذلك ما رواه محمد بن موسى المنجم في بعثة الواثق له الى بلاد الروم ، عن أهل تلك المنطقة ، وما رواه عبادة بن الصامت في بعثة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما له الى بلاد الروم لدعوة ملكهم الى الاسلام فان تلك الروايات هي روايات مجردة عن الدلائل ، ورويت عن سكان المكان من الروم . وقد لا تعدو روايتهم هذه أن تكون قابلة للتحريف والتضليل ، لا سيما ونحن نشاهد اليوم كثيرا من المآثر المزعوم أنها اسلامية مقدسة ولا غبار عليها من الصحة انما هي (مصايد وأشراك) ينصبها النفعيون لجلب المادة ليس غير .

وياقوت نفسه روى لنا أن من الرواة من يرى أن الكهف والرقيم هما بالأندلس وأن طليطلة هي مدينة دقيانوس الذي فرّ في زمنه أصحاب الكهف من بلدهم الى الكهف . وهذا تخبط في الرواية والرأي . ونلحظ أنه قد رجع آخر الأمر الى الرأي الذي يقول : أن الكهف والرقيم هما بقرب عمان بدليل أنه في المجلد الثالث وفي مادة (عمان) قال ما نصه : (وقيل أن عمان هي مدينة دقيانوس ، وبالقرب منها الكهف والرقيم معروف عند أهل تلك البلاد والله أعلم (٢).

وكان هذا هو ختام مباحثه عن الكهف والرقيم ، وبعد أن كتب ما كتب في هذا المجلد وفي سابقه الذي هو المجلد الثاني من كتابه ، ولم يعقب عليه بشيء . فالذي يفهم من سياق كلامه وفحواه شبه اقتناعه آخر الأمر بأن هذا هو أقرب للصواب من سابقه أو سوابقه .

الكهف في كتب الآثار الأردنية الحديثة

ولم يتعرض كتاب (آثار الأردن) تأليف « هاردنج » ، وتعريب الأستاذ سليمان موسى لذكر شيء عن الكهف والرقيم ، مع اسهابه في ذكر آثار الأردن قاطبة ومنها عمان العاصمة ، وعقده فصلا خاصا بآثارها الأخرى كالمدرج الروماني الكبير وآثار جبل القلعة وما الى ذلك . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن « هاردنج » لا يميل أو لا يرى أن الكهف والرقيم يقعان قرب عمان . وقد قال بهذا القول من قبله غيره من علماء الاسلام ومؤرخيهم . ولكنه لم يفصح لنا عن رأيه الخاص . ولعل ذلك أو دراسات خاصة هي التي أوحت الى عالـم آثار الأردن الأستاذ محمود العابدي بالقول بأن هذا المكان القريب من عمان ليس هو الكهف المراد في القرآن المجيد ، وانما هو في آسيا الصغرى . لقد صرح لنا بذلك ونفى نفيا باتا أن يكون هذا المكان هو الكهف . وذاكرته وسقت له بعض أدلتي ، ولكنه لم يقتنع .. وقال : انما هذا المكان مكان روماني قديم أو معبد لهم .

أما أنا فما زلت أرى أن هذا هو الكهف وأن هذا هو الرقيم ، وأهل مكة أدرى بشعابها . وأهل البلاد القدامى الذين روى عنهم ياقوت ان هذا هو الكهف وهذا هو الرقيم بجانبه قرب عمان أعرف بآثارها . وتتسلسل معرفتها لديهم من جيل الى جيل ، خاصة وقد أثبت العلم والبحوث الأثرية أن كثيرا مما رواه مؤرخو العرب وعلماؤهم عن ماضي بلادهم وآثارها العريقة هو حقيقة واقعة ، وان مجرد نفي ذلك لمجرد انه روايات عربية أو اسلامية لا تستند الى بحوث أثرية أو كتب مدونة موغلة في القدم لم يستطع أن يزحزح حقيقة وقوعها قيد شبر .

هذا وقد علمت انه يوجد في عمان استاذ يرى رأينا ، وقد ألف كتابا وطبعه في هذا الميدان . ولكننا لم نتمكن من الاجتماع به ولا الوصول الى تأليفه ، لا حينما كنا بالأردن ، ولا بعد أن غادرنا الى هنا .

---

(١) معجم البلدان ص ٨٠٤ المجلد طبعة طهران .

(٢) معجم البلدان ص ٧١٩ المجلد ٣ طهران .

القصة العربية ومكانتها في الأدب العالمي

بقلم الاستاذ محمود تيمور

مفهوم « العالمية » في الأعمال الفكرية عامة ، وفي الأدب والفن خاصة ، أن ينتقل الى القارىء من الأثر ، ما أراد الكاتب أن يطبعه بما كتب ، دون اعتبار لما بين القارىء والكاتب من مختلف العلاقات وألوان القرابات ، سواء أكانت تتصل بالعقيدة أم بالجنس ، وسواء أكانت من ناحية الوطن أم الزمن .

ولن يتوافر للكاتب أن يبلغ هذا المبلغ من اشراك القارىء في وجدانه ، بكل ما فيه من عواطف وأحاسيس ، الا أن تجاوز بعمله الأدبي حدود الموضوعات الخاصة في البيئات المحدودة ، أو المشكلات الوقتية في الملابسات العابرة ، وتعالى في تعبيره عن المشاعر الشخصية أو السطحية أو التافهة التي لا يعمق تأثيرها في النفوس ، ولا يكون الاحساس بها جماعيا له صفة العموم والشمول .

وليس معنى ذلك أن يتجافى الكاتب عن واقع حياته ، ويغض الطرف عن شجون قومه ومشكلات مجتمعه ، وان يهيم في آفاق بعيدة من وحي الأحلام ، ويتنقل في أبراج عاجية من صنع الأوهام ، فيكون أدبه بمعزل عن روح عصره وبيئته وما يعتلج فيهما من آمال وآلام . فان فنه الأدبي الحق يتمثل في توغله في الواقع ، ونفوذه الى ما وراء الظواهر لاستكناه ما بين المشكلات المحلية والاجتماعية والحقائق البشرية الطبيعية من أواصر وصلات ، وأن يعبر عنها في صدق وايمان ذلك التعبير الفني الذي يحيلها مادة أدبية رفيعة ذات طابع انساني أصيل .

فالمفكر العالمي — في أدبه القصصي مثلا — هو الذي يخاطب الانسان حيث كان ، يتلمس أعمق مشاعره ويستجيب لأخفى هواتفه . هو الذي يستطيع أن يتصيّد ما بين أوصال البشرية جمعاء ، حول الحياة في مجالاتها الفساح ، من عاطفة مشتركة ، ويسجل ما في قلبها من خفوق موحد ، ويؤدي ذلك أداء شائقا جذابا فيه امتاع .

وبفضل النزوع العالمي المترابط بين المفكرين الذين نالوا وسام العالمية الأعز ، ظفرت الانسانية باكتشاف ذاتها ، وحددت لها قيما أساسية ، ومثلا عالية ، فعرفت ما للنفس من نوازع راسخة ، وما للناس في اجتماعهم وتدامجهم وتداخل شؤونهم من ظواهر ثابتة ، فآمنت — فيما آمنت — بأن الحياة كرامة ، والفضيلة جوهر ، والعدالة دستور ، وان الانسانية نسب عريق موحد . وهذه القيم والمثل وما اليها هي التي توهجت في أعمال المفكرين العالميين ، وهي التي يتجلى بها مفهوم « العالمية » في الأدب بوجه عام ، وفي أدب القصة بوجه خاص .

ولكن تعبير الأديب القاص عن القيم الانسانية ومثلها العليا ، لا يتحقق وجوده الا في اطار فني ، يتميز بالجدة والابتكار ، ليتسنى له التأثير المنشود ، وذلك ما لا يضطلع به الا العباقرة الأفذاذ .

فهل كان للقصة العربية من هذا على امتداد التاريخ نصيب مرموق ؟

التراث القصصي في أدبنا العربي متصل الحلقات منذ أقدم العصور ، وهو متنوع في صيغته وفي محتواه ، فهناك قصص « الأمثال » التي تصور جوانب الحياة في العصر الجاهلي وفي صدر الاسلام ، مما جمعه « الميداني » و « الزمخشري » وغيرهما . وهناك الأسمار والأساطير والخرافات التي تتعدد ينابيعها بين عربية وفارسية وهندية ، مما احتشدت به كتب « الأخباريين » مثل كتاب « الوزراء والكتاب » للجهشياري ، و « المحاسن والمساوىء » للبيهقي ، ولدينا القصص العاطفي الذي تكاثر في العصر الأموي ، كقصة « مجنون ليلى » و « قيس لبنى » و « جميل بثينة » . وما نشأ بعد ذلك من مقامات « الهمذاني » و « الحريري » ومن اليهما . ومن القصص الأدبي « كرسالة الغفران » لأبي العلاء المعري ، و « رسالة التوابع والزوابع » لابن شهيد الأندلسي ، ومن القصص الفلسفي كرسالة « حي بن يقظان » لابن طفيل ، و « رسالة الطير » للغزالي . ومن القصص الشعبي « كألف ليلة وليلة » ، و « سيرة عنترة » ، وما أخذ مأخذهما من سير وحكايات .

في هذا التراث القصصي ذخيرة من الأفكار والعبر ، هي صفوة تجربة الدهر وحكمة الأيام في استنباط الحقائق واجتلاء السرائر . وفيه كشف عن الروح الشرقي والفكر

العربي ، وما للايمان بما وراء الطبيعة من أثر في مجريات الحياة ، ومصاير الناس . وفيه تمثيل للمجتمع ومعيشته وتفاعل بيئاته وطبقاته . وهو كذلك يتعقب ألوان الشذوذ في أحداث الحياة على تخالف الأزمنة ، وفي أصناف الناس على تباين الأجناس . وفيه يشيع الأنس والمرح بما يتخلله من مطايبات وأفاكيه . وهو في هذا كله يتميز بدقة الوصف ، وخلابة التصوير ، وبراعة الحوار .

كان لهذا التراث القصصي يد بيضاء على الأدب الأوربي ، يشهد لها المنصفون من النقاد والمؤرخين للأدب العالمي ، حتى ان « جوستاف لوبون » يقرر أن العرب هم الذين ابتدعوا روايات الفروسية .

ويثبت التاريخ أن قصة « حي بن يقظان » التي وضعها « ابن طفيل » في القرن الميلادي الثاني عشر ، ترجمت الى اللاتينية والانجليزية بعد خمسة قرون من ذلك التاريخ ، ثم ترجمت الى غيرها من اللغات . وبعد ترجمتها بقليل ظهرت قصة « روبنسن كروزو » لمؤلفها « ديفو » ، وقصة « جلفر » لمؤلفها « سويفت » ، وكلاهما في القرن الثامن عشر . ولم يخف على الناقدين أثر « ابن طفيل » فيما أخرجه « ديفو » و « سويفت » من قصصهما الخالد . فان « حي ابن يقظان » هو الذي شق لهما وجه الطريق ، ورسم لهما خطة السير ، وانهما ليسبحان في كثير من الأجواء التي سبح فيها ، ويتأثرانه فيما لاحظ وما فطن . فقد أبان في قصته الرائعة كيف يتاح لامرىء أرضعته ظبية في طفولته الشاردة ، وأقلته أرض ليس بها أنس ، أن يدرج على الفطرة في مدارج الحياة ، وكيف يكتشف نفسه ، ويتبين الطبيعة حوله ، وكيف يسلك سبل المعرفة ، ويهتدي الى غوامض العلم ودقائقه ، حتى يتسنّم بتفكيره ذروة الحقيقة في هذا الوجود .

ومن الذين فتنهم قصص الشرق ، « جوته » الألماني ، اذ ألف ديوانه الشرقي مستمدا الكثير من موضوعاته وأخيلته من ذلك التراث العربي .

وفي القرون الوسطى وأوائل عصر النهضة في أوربة ، اتجهت الأنظار الى الأعمال القصصية العربية ، فعرفت قصة « مجنون ليلى » باعتبارها المثل الأعلى للتوهج العاطفي والحب العذري ، وكانت مصدر إلهام للأدباء .

وكذلك شاعت ترجمة القصص الشعبي ، مثل « سيرة عنترة » وقصص « ألف ليلة وليلة » التي جاوز الهوس بها كل حد ، فقد استعذب القوم فيها مذاقا جديدا ، وآنسوا وراء صورها وشائج انسانية عريقة . ويؤثر عن « فولتير » أنه لم يزاول فن القصة الا بعد أن قرأ « ألف ليلة » أربع عشرة مرة . ويحكى عن « استندال » مؤلف « دير بارم » أنه تمنى لو ان الله محا من ذاكرته « ألف ليلة » حتى يستعيد لذّته بقراءتها من جديد .

ومن مظاهر التأثر بقصص « ألف ليلة » في الأدب الأوربي أن المستشرق « مارسيل » أحد العلماء الذين رافقوا الحملة الفرنسية على مصر في القرن الماضي ، ألف بالفرنسية قصة سماها « تحفة المستنيم » ، وادعي أنه ترجمها عن العربية ، وعزا تأليفها الى شيخ من رجالات الأزهر في ذلك العهد ، هو الشيخ « محمد المهدي » ، ولا يغرب عن فطنة المتصفح لتلك القصة أنها من وضع المستشرق الذي أغرم بما في القصص العربي من حلاوة وطلاوة ، فعمد الى محاكاة « ألف ليلة » قلبا وقالبا في عمل قصصي عصري ، وبلغ في امعانه في المحاكاة أنه نسب التأليف الى شخصية شرقية عربية .

وقد كشف الباحثون في الأدب المقارن عن معالم التأثر بأدب القصة الذي خلفته القرائح العربية في جملة من أعمال الأدباء الأعلام في الغرب . وما زال المجال فسيحا لاكتشاف جوانب التأثير المباشر وغير المباشر لهذا الأدب القصصي العربي في الآداب الأجنبية على الصعيد العالمي .

ونحن مثلا حين نقرأ ما تخلل أعمال القاص الكبير « ادجار ألان بو » من صور للأبنية والقصور ، وما وصف به الاستار والطنافس ونحوها من أثاث ورياش ، وما صوّر به المسارج والقناديل وتلونها واندلاع ألسنة اللهب منها ، لا نملك الا أن تعود بنا الذاكرة الى القصص العربي وصوره وأخيلته وتهاويله ، والا أن نحس على الفور أن « بو » قد تأثر في رسوم قصصه وهياكلها ، بل في جوها وروحها ، بأطياف « ألف ليلة » وما جرى مجراها . وليس افتتان « بو » بالبيان العربي في حاجة الى توكيد ، فقد بلغ من ذلك في احدى مقطوعاته الشعرية أنه أراد وصف مثال للحسن في أسمى نماذجه ، فلم يجد غناء الا في اقتباس تلك الصورة المعجزة التي وصف بها « القرآن » نور الله في قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » .

وفي نهضتنا الحديثة ، كان الرأي الأدبي العام ، في بلاد الشرق والعروبة ، تصطرع فيه نزعتان : أولاهما نزعة أحياء قديم الأدب العربي وما فيه من لون قصصي ، وذلك بأن نبعث ذخائره ونحاكيها ، ليستأنف أدب العروبة بها مجده في عصوره الزواهر ، وكانت النزعة الأخرى أن ننهل من أدب الغرب ما ننهل ، حتى يتاح لنا أن نكتب القصة في صيغتها الجديدة ، وننفخ فيها من روح الحياة والمجتمع .

وفي هذه الحقبة الماضية القريبة من تاريخنا الحاضر ، تمثيل صحيح لهاتين النزعتين ، أو ممازجة بينهما ، في أدبنا القصصي .

ولنا أن نعتز بأن في أدبنا العصري ثمرات طيبة ناضجة استطاعت أن تجتذب اليها الأنظار على المستوى العالمي ، فقد ترجم من أدبنا القصصي قدر لا بأس به في لغات متعددة ، وتحرص المجموعات التي تختار نماذج الآداب القصصية في اللغات المختلفة على ألا تخليها من فرائد القصص العربي للأدباء المحدثين . وهذا يدل على أن أدبنا القصصي الجديد يتابع خطاه ليأخذ مكانته تحت لواء الادب العالمي ، ولكن اعتزازنا بذلك لا يحجب عن أعيننا الرؤية الواضحة للحقيقة الصريحة ، وهي اننا ما برحنا في أول الطريق .

وأيا كان الأمر ، فان الرأي العربي العام يفصح اليوم عن مولد وعي قوي ، وشعور جماعي ، يهدف الى أن يكون لنا نحن أمة العروبة أدب عربي الأداء والتعبير ، شرقي الطابع والسمات ، انساني المنزع والمتجه . أدب تتجلى فيه نفسيتنا الخاصة ، وتجربتنا الشخصية ، واستجابتنا الذاتية للحياة والمجتمع ، في اصالة وعمق وبصيرة .

والقصة في مقدمة الفنون الأدبية التي نحقق بها تلك الغاية الفضلى . في اطارها نعالج مشكلات الانسانية بايحاء متحرر مكين من عقليتنا وفلسفتنا ، وبهداية قويمة مستمدة من وجداننا وروحنا ، حتى يتبين العالم المتحضر في أدبنا القصصي المتطور خلقا جديدا يسفر فيه وجه العروبة الطلق ، ويتضوّع منه عبير الشرق العريق .

بذلك يطمئن الأدب العربي الى أنه يشارك ركب الأدب العالمي ، بالكشف عن خصائص الانسانية الخالدة ، ومعالم المجتمع الحي ، في اطار من القصص الفني الرفيع .



عرس الفجر

للشاعر محمد علي النوسي

هبّ نسيم الصباح هبّا ... ورفرف الزهر واشرأبا

واستيقظ الكون من كراه ... وفض من كنزه المخبا

وأومض الفجر مستنيرا ... مشعشعا كالغدير عذبا

واشرق النور في سماء ... كحيلة مقلة وهدبا

وغرد الطير في رباه ... وهز أعطافه ولبى

لبى نداء الضياء حلوا ... مرفرفا خفة ووثبا

يصب ألحانه النشاوى ... في عرسه العبقري صبا

عرس السنا والسنا وليد ... لما يزل كالحرير رطبا

شعاعه يلهم السواقي ... أغانيا والقلوب حبا

وعطره ينعش الروابي ... فتزدهي أيكة وعشبا

رنا الى الأفق فاستهلت ... غيومه مزنة وسحبا

وعانق النهر فاستفاضت ... مياهه أنجما وشهبا

وقبّل الأرض فاستعادت ... شبابها نضرة وخصبا

فقم بنا يا حبيب قلبي ... نعب هذا الجمال عبا

نطير في جوه ونسمو ... الى الذرى مهجة وقلبا

فليس الاّك يا حبيبي ... مهذبا فكرة ولبا

فأنت والفجر والقوافي ... عرائس تسكن (الألمبا)

مع أسرة الوادي المبارك

المدينة المنورة عريقة في كل جانب من جوانب وجودها الديني والتاريخي والأدبي على حد سواء . فلقد احتضنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مهاجرا ، وأودعته ثراها راحلا ، وحافظت على جدثه الطاهر أربعة عشر قرنا من الزمن ستمتد ، باذن الله ، الى ما شاء الله . ومنها ، وعلى أيدي المسلمين الأوائل ، انطلق نور الايمان مشرقا هاديا فغمر الوهاد وعمر القلوب ، وخلّف للمدينة المنورة أمجد تاريخ يمكن أن تحظى به مدينة مقدسة على وجه الأرض.

ومع ما لازم المدينة المنورة من تقدير واجلال ، اذ ظلت تتجه اليها قلوب المسلمين وعقولهم كثاني مدينة مقدسة في ديار الاسلام ، نمت فيها حركة ادبية ثقافية جعلتها تتسم بطابع مميز . فقد حفلت ، ولا تزال ، بالعديد من المكتبات الخاصة والعامة التي تغص بأمهات كتب الفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب والتاريخ ، فيفد اليها طالبو العلم والمعرفة ينهلون من مواردها العذبة ، ويقضون بين رفوفها أمتع اللحظات وأعظمها فائدة ، كما كانت مركز الكثير من المدارس والكليات التي خرّجت أفواجا عديدة من العلماء والأئمة وفحول الشعر والنثر . فقد عرفت المدينة المنورة في مطلع هذا القرن ، من أفاضل العلماء عددا كبيرا ، كالشيخ أحمد الفيض ابادى ، والشيخ محمد الطيب التنبكتي المشهور بالأنصاري وغيرهما ممن كان على أيديهم ظهور الكثيرين من رواد الأدب في المدينة من أمثال السادة : أحمد ياسين الخياري وعبيد وأمين مدني وعبد القدوس الانصاري وعلي وعثمان حافظ وعبد الحميد عنبر ومحمد حسين زيدان وغيرهم .

وقد أسس جماعة من رجال الفكر والأدب في المدينة المنورة ناديا أدبيا عرف باسم النادي الأدبي كما أسست جماعة أخرى منهم ناديا عرف باسم الحفل الأدبي ، فكان هذان الناديان نواة النشاط الأدبي في المدينة المنورة ، اذ كان كل منهما يضم صفوة من الشعراء والكتاب . الا أن نشاط الناديين قد اضمحل بسبب رحيل معظم أعضائهما الى جدة وغيرها من المدن التجارية النشطة . ونتيجة لذلك ، وكان قد ظهر في المدينة جيل من الأدباء الشباب ، تبلورت في الأذهان فكرة انشاء محفل أدبي لسد الفراغ الناجم عن ركود نشاط الناديين السالفين . وكان أول من فكر في ذلك ودعا اليه السادة : محمد العامر الرميح ، ومحمد هاشم رشيد ، وعبد السلام هاشم حافظ ، وذلك عام ١٣٧٩ هـ . ولقد لقيت دعوتهم تلك قبولا وترحيبا لدى بقية أدباء المدينة ، فالتفوا حولها وأجمعوا على أن يطلقوا على محفلهم الأدبي هذا اسم «أسرة الوادي المبارك» تيمنا وتبريكا بالاسم الذي أطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم على وادي العقيق في المدينة المنورة ، اذ قال عليه السلام : «أتاني الليلة آت فقال قم فصل في هذا الوادي المبارك».

وكان الغرض الأساسي من تكوين هذه الأسرة ، دعم الحركة الأدبية وحث الأدباء على مواصلة الكتابة في شتى المجالات على صفحات مختلف المجلات للتعريف بالأدب العربي السعودي داخل المملكة وخارجها ، وتحقيق الكثير من المخطوطات المهمة التي تغص بها مكتبات المدينة المنورة ونشرها ، وانشاء مجلة أدبية ذات مستوى رفيع . وقد رئي ألا تتوسع الأسرة في الوقت الحاضر لأن بقاءها محصورة في نطاق ضيق يساعد على تنظيم لوائحها واعدادها بطريقة أفضل . وعندما يتسنى لها الحصول على اذن رسمي بمباشرة نشاطها الأدبي المحض ستفتح أبوابها لعشاق الأدب والراغبين في مزاولته لتكون ملتقاهم الرصين الجاد ، ومحفلهم الخير المثمر .

وأعضاء الأسرة ، وكلهم حاليا من أبناء المدينة المنورة أو المقيمين فيها يتميزون بنفوس وثابة غيورة على رسالتها الأدبية . فهم يقدرون تمام التقدير أن رسالة الكلمة الواعية الصادقة هي من أسمى ما يجب أن يعنى به الكاتب . لذلك نراهم يلتقون أسبوعيا في بيت أحدهم ، فيعكفون على كتاب صدر حديثا ، يحللونه ، وينقدونه مبرزين نقاط قوته من ضعفه ، أو على موضوع أدبي شيّق يشبعونه بحثا وتعليقا ، أو على قصيدة أو مقالة جديدة لأحدهم يمحصون كل كلمة فيها وكل صورة ومعنى ، فتكون ليلتهم تلك – بحق – من ليالي العقيق المشهورة : فيها زاد للروح والنفس والعقل ، وفيها ألف دافع للانتاج والملاحقة والتثقف ... أهم ما يجدر

بالأديب الواعي الجاد أن يتزود به اذ يعاقر الكلمة المكتوبة فيمسك بزمامها بكلتا يديه فتنقاد له سلسة طيعة ، فيعطي من ذوب نفسه وعقله الكثير .

وفي بيت الأستاذ عبد العزيز الربيع ، مدير التعليم في منطقة المدينة المنورة ، وأحد أعضاء الأسرة البارزين ، كان لي لقاء مع عدد من ادباء الأسرة(٭) في احدى ندواتهم الأسبوعية . وقد استجابوا مشكورين لرغبتي في أن أثير موضوع بحثهم لتلك الندوة ، فكان أن قضينا زهاء خمس ساعات في أروع نقاش ، حول حديث القلب والمشاعر ، ذلك الذي يعرفونه بالكلام الجميل الموزون و « المقفى » — نزولا عند اصرار بعض المحافظين — حديث العاطفة والوجدان والحس والجمال ، حديث الشعر .

سألت : « حضرات الأدباء ، ما هو الشعر ؟ »

الأستاذ محمد العيد الخطراوي : عــرّف القدماء الشعر بالكلام الموزون المقفى . ولكن هذا التعريف قاصر لاهماله جوانب أخرى تتعلق بالموضوع ، كالصور الفنية ، والانفعالات النفسية والأفكار القيمة . وأنا أرى أن الشعر تعبير عن نفسية الشاعر . انه ما أشعرك وحرك وجدانك . هو تعبير موسيقي عن العواطف ، ويستطيع الشاعر أن يبتكر ما يحلو له من النغم عندما يريد أن يقوله .

الأستاذ عبد العزيز الربيع : أعتقد أن هذا تعريف سليم ، لكني ممن يحرصون على الوزن والقافية ، وأرى أنهما أساسان مهمان الى أقصى حد بالنسبة لشعرنا العربي .

الأستاذ محمد حميده : فيما مضى كان كل كلام محكم الصياغة ، وعلى درجة رفيعة من البلاغة والفصاحة والبيان يسمى شعرا . والدليل على ذلك أن القوم ادعوا بأن القرآن الكريم شعر ، وما هو بالشعر . قال تعالى : « وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له » وقال أيضا : « وما هو بقول شاعر » . وأذكر أن حسان بن ثابت سمع أحد أبنائــه يصف فراشة وصفا فصيحا فهتف به : « شعر ورب الكعبة ! » وهكذا ، نرى أن العرب كانت تميل الى تسمية الكلام الفصيح الجميل شعرا .

— ألا يقضي ما أورده الأستاذ الآن ، بأن الوزن والقافية ليسا على درجة كبيرة من الأهمية في الشعر ؟

الأستاذ محمد حميده : لا شك أنهما مهمان لأنهما الوسيلة الوحيدة للتفريق بين الشعر والنثر .

الأستاذ محمد العيد الخطراوي : أعتقد أن ما ذكره الأستاذ حميده عن وصف الفراشة وعن الادعاء بأن القرآن شعر وما هو بالشعر ، يؤيد الناحية التصويرية في موضوعنا فقط . وفي مثل ذلك قول المنفلوطي : « سأكون هذه المرة شاعرا بلا قافية » . وما ذاك الا لأنه كان يكتب كتابة تصويرية جميلة . وأنا أؤيد التجديد لكن ضمن نطاق الموسيقى العربية التقليدية للشعر ، كما فعل أبو ريشة ، وأبو ماضي ، وبشارة الخوري ، والشابي اذ أبقوا على الوزن وغيروا القافية في القصيدة بين مقطع وآخر .

الأستاذ حسن الصيرفي : الشعر هو اللمحة الخاطفة ، تلقى على شكل صورة أو صور ، تعكس تجربة صادقة تعطي فائدة ، ولها موسيقى خاصـــة .

الأستاذ عبد العزيز الربيع : ماذا تقصـــد بـ (موسيقى خاصة) ؟

الأستاذ حسن الصيرفي : أقصد وزنا ، مهما كان ولو خرج عن بحور الخليل بن أحمد والأخفش .

الأستاذ علي الدخيّل : ان تعريف الأستاذ الخطراوي للشعر تعريف جيد ، لأن ضرورة الوزن والقافية تخرج « الشعر الحر » عن نطاق الشعــر .

— ولماذا ترون أن « الشعر الحر » يجب أن يخرج عن نطاق الشعر ؟

الأستاذ علي الدخيّل : لأنه غير مقفى !

الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ : « الشعر الحر » اذا خرج عن التفاعيل المعروفة أصبح نثرا قد تكون عليه مسحة جمال وقد لا تكون . وأنــا أعرف الشعر بأنه بوح وانطلاق موسيقيان في عالم المثل والجمال على اختلاف أشكالهما .

الأستاذ محمد حميده : إذن ما هي الحدود الموسيقية للشعر ان لم تكن الأوزان ؟

الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ : موسيقى الشعر هي الأوزان المتعارف عليها ، مع التصرف في تفاعيلها لتكوين أوزان وأشكال أخرى . وما دام « الشعر الحر » أو « الحديث » يلتزم التفعيلة الواحدة ، فهو في رأيي مقبول ، ولا يخرج عن نطاق الشعر .

الأستاذ حسن الصيرفي : أرجو أولا ألا يعتبر ما سأقرره هنا دعوة للتحرر من أوزان الشعر ، فالخليل بن أحمد أراد أن يقنن الشعر تبعا لما درج عليه عصره في تقنين العلوم والفنون كافة . وهو ذلك الرجل الملهم الذي أغرم بالموسيقى ومجالس الموسيقيين كثيرا ، والذي كان يملك اذنا قادرة على الربط بين موسيقى الشعر وموسيقى الدفوف والأوتار ، فكان نتيجة لذلك ، قادرا على تمييز شتى الفروق الدقيقة في ايقاع الشعر وموسيقاه . وهو عندما قام بدوره في حصر نظام الشعر الموسيقي في قوالب ونماذج ، لم يستطع آن يجد الا عددا ضئيلا من الأبيات التي تتبع في بنائها بعض نماذجه تلك . واذا استثنينا ثلاثة أو أربعة نماذج ، أو قل أبحر ، فإن ما يتبقى لم ترد له أمثلة كثيرة في شعر الأقدمين الا بعد أن قنّن فاعتادته الأذن العربية ، وأخذ الشعراء ينظمون شعرهم وفقا له . ومن هنا أستطيع القول أن الخليل بن أحمد بحصره موسيقى الشعر في بحوره تلك انما ارتكب خطأ فادحا ، رغم ما بذله من جهد في عملية التنظيم والقولبة التي ارادهــا .

الأستاذ عبد العزيز الربيع : هل أفهم من هذا انك تثني على الخليل بن أحمد أو تلومه ؟

الأستاذ حسن الصيرفي : انني أثني على عمله لأنه أراد أن ينظّم ما كان للمرء أن يحصر ما سيكون . وأنتقد من تبعوه لأنهم لم ينظروا الى عمله كعمل متكامل فحسب ، بل لأنهم نظروا اليه كنهاية يتجمدون عندها . وأنا ضد هذا التجمد ، وأؤيد كل المحاولات المعقولة التي تهدف الى تطوير الشعر والانطلاق به مما اعتراه .

الأستاذ محمد حميده : فهمت من كلامك انك تنظر الى عمل الخليل بن أحمد كعمل متكامل ، فلماذا يعاب على نقاد الشعر التزامه ؟

— ربما لأن الشعراء لم يتوقفوا عن كتابة الشعر بعد الخليل بن أحمد ولن يتوقفوا ، ولو أن سابقيه او معاصريه من الشعراء اتبعوا أية نماذج أخرى في شعرهم ، غير النماذج التي عثر عليها ببحثه وتمحيصه لكان الخليل بن أحمد قد أدرجها ضمن نماذجه . وكونه لم يعثر الا على نماذج معدودة أضاف اليها الأخفش فيما بعد بحرا لم يعثر عليه الخليل بن أحمد — ولهذا دلالته الخاصة — لا يعني أبدا الوقوف بالنماذج عند ذلك الحد . من هنا كانت دعوة الأستاذ الصيرفي ، وغيره من الشعراء العرب ، الى الانطلاق في هذا المجال في محاولة جادة لايجاد نماذج شعرية أخرى بالاضافة الى النماذج المعروفة ، وما ذلك الا لاثراء النظام الموسيقي للشعر العربي ، لا لتدميره أو هدمه كما قد يتصور البعض .

(٭) تضم الأسرة العديد من أدباء المدينة ولكن الشعراء والكتاب الذين شاركوا في ندوتنا كانوا : الأستاذ محمد حميده ، الأستاذ عبد العزيز الربيع ، الشاعر حسن الصيرفي ، الشاعر عبد السلام هاشم حافظ ، الأستاذ حامد حسن عبد القادر ، الأستاذ عبد الرحمن الشبل ، الأستاذ محمد العيد الخطراوي ، الأستاذ علي الدخيل والأستاذ حسن الجوادي .

وبعد استراحة قصيرة سألت : « حضرات الأدباء ، فيم يجدر بالشاعر أن يكتب شعره ؟ »

الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ : في الصور الانسانية والوجدانية .

الأستاذ عبد الرحمن الشبل : يجدر بالشعر أن يكتب في كل ما يحسه الشاعر ، ولا يجدر بنا أن نفرض عليه صورا خاصة أو مواضيع معينة ، حتى نتيح له أن ينتج نتاجا ذاتيا معبرا عن شعوره الخاص يتجاوب معه القارىء بسهولة ويسر .

الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ : ماذا تقصد بكلمة (ذاتي) ؟

الأستاذ عبد الرحمن الشبل : أقصد تصوير الانفعال الذاتي للشاعر دون أن يكون متأثرا بدافع خارجي مهما كان .

الأستاذ محمد العيد الخطراوي: يجب أن يكتب الشعر في آمال المجتمع وآلامه ، على ألا ينسى الشاعر ذاته فيكون طبيعيا في تعبيره ، وبذلك يحتل الشاعر مكانته الحقيقية في عالمنا .

— هل تعتبر رأيك هذا دعوة الى الالتزام في الشعـر ؟

الأستاذ محمد العيد الخطراوي : اذا قصدتم الالتزام المهذب فنعم .. لا حرية كاملة للشاعر ولا خنق لحريته الخاصة . وعلى هذا الأساس نستطيع اعتبار الغزل مثلا ، وهو تعميق لعاطفة انسانية ما ، غير خارج عن هذا النطاق !

الأستاذ عبد العزيز الربيع : أنا أتصور أن الأخ الخطراوي يحاول أن يوجد تسوية بين دعاة الالتزام وبين مناوئيهم ، ولكن يبدو لي أنه لم يستطع إرضاء أحـد من الفريقين ، وذلك لأن دعاة اللاإلتزام يرون أن الشاعر لكي ينتج شعراً أصيلا نابعا من وجدانه ، يجب أن يكون منفعلا أو متأثرا بتجربة ذاتية خاصة دون أن يقع تحت تأثير أو سيطرة أي توجيه كان . ودعاة الالتزام يصرّون على أن الشاعر يجب أن يكون أداة في خدمة المجتمع ، كما يحلو لهم أن يتصوروا . ومن المؤكد أن الشاعر الذي يصدر شعره عن انفعال لا سلطان لأحد عليه ، أصدق في التصوير والتعبير من شاعر يفرض عليه موضوع أو اتجاه خـاص .

الأستاذ محمد العيد الخطراوي : أنا لا أغفل ناحية الانفعال وصدق التعبير في الشعر ، ولكني لا أتصور الشاعر الذي لا ينفعل بآمال مجتمعه وآلامه . واذا أطلقنا الحرية التعبيرية للشعراء ، نخشى انزلاق نفر منهم في بعض الاتجاهات التي لا تخدم مجتمعنا العربي المسلم .

الأستاذ عبد العزيز الربيع : هل وجد الالتزام في الأدب العربي في أيٍ من عصور ما قبل النهضة ؟

الأستاذ حسن الجوادي : أعتقد أنه لم يوجد .

الأستاذ محمد العيد الخطراوي : ان لم يكن قد وجد بشكل واضح فإن فحول الشعراء الأقدمين هم أولئك الذين استطاعوا التعبير عن آلام قومهم وآمالهم .

الأستاذ محمد حميده : أعتقد أن أشهر الشعراء العرب لم يكونوا من الملتزمين .

الأستاذ عبد العزيز الربيع : كيف نستطيع تطبيق نظرية الالتزام على شعراء كعمر بن أبي ربيعة وأبي نواس والمعري مثـلا ؟

الأستاذ محمد العيد الخطراوي : مع أن هؤلاء لم يكونوا من الملتزمين الا أنني أدعو الى الالتزام في عصرنا الحاضر !

الأستاذ حسن الصيرفي : يجدر بالشاعر أن يكون حرا في تعبيره على ألا يتجاوز حدود اللياقة المجتمعية المتعارف عليها .

عند ذاك سألت : « لماذا يكتب الشاعر شعره؟ »

الأستاذ حسن الصيرفي : تمر بالشاعر تجربة ما ، فإذا انفعل بها تبرز ميزته كشاعر اذ يحاول التعبير عنها . وغالبا ما تكون تلك التجربة انسانية قد مرت بملايين البشر ممن عجزوا عن التعبير عنها ، فيجيء الشاعر اذ تمر به فيعبر عنها ويعلّم الآخرين دون أن يشعرهم بأنه معلم ، وتدفعه لذلك لياقته الشخصية كشاعر .

— ألا ترى أن الشاعر كثيرا ما يعبر عن التجربة التي يمر بها ليخلص نفسه من رجوعها (جمع رجع) وأصدائها ، دون أن تخطر بباله فكرة تعليم الآخرين أو مطلق افادتهم ؟

الأستاذ حسن الصيرفي : ان تكامل الحياة يحتاج الى لياقات متنوعة ، ومن جملتها اللياقة الشعرية ، وأنا معكم في أن كل صاحب لياقة شعرية عندما يعاني من تجربة ما ، لا بد وأن يظل في حالة تأزم حتى يخرجها الى حيز الوجود .

الأستاذ علي الدخيّل : أستطيع أن أضيف باختصار أن تعبير الشاعر عن مشاعره الجياشة بصورة صادقة تعكس تماما ما في نفسه ، انما يكون لهدف التعبير ذاته ، أو حبا في تعليم الآخرين وافادتهم أو طمعا في شهرة .

الأستاذ عبد الرحمن الشبل : يكتب الشاعر شعره عندما يشعر بموضوع ما ، ويتحمّس له . ولهذا يكتب احساسه ليُطلع عليه الآخرين فيجعلهم يشاركون مشاعره ازاء ذلك الإحساس .

وسألت أخيرا « لمن يكتب الشاعر شعره ؟ »

الأستاذ محمد العيد الخطراوي : للمجتمع ، لكي يقدم لأفراده غذاء فكريا روحيا ، على ألا ينفصل عن ذاته ليكون تعبيره أصدق وأعمق .

الأستاذ محمد حميده : يختلف هذا باختلاف موضوعات الشاعر ، فقد يتجه بشعره الى محبوبته وقد يتجه به الى وطنه وشعبه ، أو إلى قادة بلاده ورجالها ، فيدعوهم به الى الإصلاح والعمل لما فيه خير الجميع ، وقد يكون في شعره من دعاة القيم والمثل العليا ، فيسعى لتكريسها في النفوس والدعوة اليها والتمكين لها .

الأستاذ حسن الصيرفي : الشعر ألوان ، وقديما كان الشاعر يقدمه لممدوحه أو يوصله الى مذمومه والواقع أن شعرائنا الأقدمين كانوا لا ينعتون بالفحولة إلا إذا بلغوا ذروتي المدح والهجاء . ولعل هذا راجع الى أن الناس في ذلك الزمن كانوا أبعد ما يكونون عن التخصص ، حتى أخذت مفارقات حياتية كثيرة تنكشف عن حاجة ملحة له ، فتخصص ابن أبي ربيعة مثلا أو قل قصر شعره على لونه المعروف به ، وكذلك أبو نواس . وهكذا أصبح الشعراء ألوانا أيضا ، بعضهم يكتب شعره للممدوح حتى يحصل على عطاء أو منصب وبعضهم يكتبه لوطنه أو لمحبوبته .. ولكنهم جميعا يكتبون شعرهم ، كل حسب لياقته الشعرية ، وبالتالي لمن يحسبون أنه جدير بشعرهـم .

— لعلني أستطيع في الختام أن أضيف أن الشاعر الحق انما هو انسان عميق الحس أولا وأنه يجدر به أن يكتب شعره لأخيه الانسان في كل مكان وزمان ، وأشكركم شكرا جزيلا ، وأرجو لكم ولأسرتكم مستقبلا زاهرا .

بعد هذه الليلة الحافلة ، ودعت أصدقائي شعراء أسرة الوادي المبارك وأدباءها ، وخرجت برفقة الشاعر الرقيق الأستاذ حسن الصيرفي . كانت المدينة المنورة اذ ذاك تغط في نوم عميق ، وكانت مآذن الحرم الشريف تنتصب في عنان السماء ، فتنثر على ساحته ذوبا من قدسي نورها ، فتتراءى لعيني من خلل النور الساطع أمجاد « طيبة » الطيبة العريقة ، وأسرح مع الذكرى ولا أفيق الا عند باب فندقي ، حيث ودعني الصديق الشاعر وودعته على أمل لقاء آخر ان شاء الله .

[signature]



بعض أعضاء أسرة الوادي المبارك الأدبية في المدينة المنورة وهم (من اليمين الى اليسار) الأساتذة : سليمان مويس ، محمد أمين الجندي ، محمد حميده ، عبد العزيز الربيع ، حسن الصيرفي ، حامد حسن عبد القادر ، عبد السلام هاشم حافظ وعبد الرحمن الشبل .



في بيت الأستاذ عبد العزيز الربيـع ، مدير التعليم في منطقة المدينة المنورة يظهر (من اليمين الىاليسار) سعادته فالشاعر الصيرفي والأستاذ حامد حسن عبد القادر والشاعر عبد السلام هاشم حافظ وكاتب هذه السطور وذلك أثناء انعقاد الندوة الأسبوعية لأدباء أسرة الوادي المبارك .



الناقد الأستاذ الربيع يبتسم بعد ان أثار الشاعر الصيرفي بتعليقاته الذكية فراح شاعرنا يتكلم بكل جوارحه بينما أنصت الأديب الأستاذ حامد بكل هدوء .

(تصوير عبد اللطيف يوسف)

كيف نستفيد من المكتبة؟

بقلم الدكتور جمال الدين الرمادي

نشرت قافلة الزيت تحقيقا صحفيا عن المكتبات في «أرامكو» وأضيف الى ما ذكره المحرر بأن المكتبة كنز ثمين، وذخر عظيم، ولكن لا يدرك قيمته، ولا يستطيع الانتفاع به الا من ظفر بنصيب من الثقافة المكتبية، ومعرفة بطرق البحث المكتبي حتى يصل الى غايته المنشودة، ويلم ببحثه من جميع نواحيه، ومختلف أطرافه.

وقد يكون الباحث على معرفة باسم المؤلف، وهنا يستطيع أن يستخدم في بحثه فهرس المؤلفين، والمكتبات العامة دائما تعنى عناية خاصة بفهرس المؤلفين بوصفه أحد الأدوات الرئيسية في البحث، وان القارىء غالبا ما يقصد قراءة كاتب من الكتاب.

والمكتبات تجرى في تنسيقها على اعتبار أن الشخص الذي يجمع كتابات عدة مؤلفين «مؤلفا» لمجموعة، وتعتبر «الهيئة» التي أصدرت الكتاب أو المطبوعات باسمها أو تحت اشرافها بمنزلة «المؤلف»، ويدرج اسمها في الكتالوج الخاص بالمؤلفين.

وكذلك جرت العادة على ادراج أسماء المعاهد، والكليات، والجامعات، والمدارس، والمكتبات، والمتاحف، والمراصد، والمستشفيات، والغرف التجارية في كتالوج المؤلفين، اذا صدرت عنها مجموعة من المطبوعات.

ولكن فهرس المؤلفين قد يصبح قليل الجدوى لمن كانت معلوماته عن المؤلفين محدودة، وكان يبحث في موضوع معين بغض النظر عن معرفة المؤلفين في هذا الموضوع.

وهنا يعجز فهرس المؤلفين عن اداء الخدمة المطلوبة للباحث، بيد أن هذا لا يمنع من الاشارة الى أحسن الأمثلة لفهارس المؤلفين الموجودة في المتحف البريطاني، وبمكتبة لندن، وبمكتبة الكونجرس، ومكتبة جامعة كاليفورنيا، ومكتبة جامعة برنستون.

وقد فكر المشتغلون بفن المكتبات في ايجاد طريقة تفي بغرض الباحث الذي لا يلم الماما دقيقا بالمؤلفين، واخترعوا الفهرس الموضوعي (Subject Catalogue). ولكن نظرا لتشعب العلوم وتفرع موضوعاتها ابتكر العالم الأمريكي، ملفيل ديوي « Melvil Dewey » طريقة مفصلة سماها «التقسيم العشري»، وأخذ يتوسع فيها ويضيف اليها بمرور الزمن.

وتنقسم العلوم بطريقة التقسيم العشري الى تسعة أقسام أساسية، تعطى لها الأرقام من «١» الى «٩». ولما كانت دوائر المعارف والدوريات كتبا عامة، ولا تدخل تحت قسم من هذه الأقسام جعل رقمها صفرا «٠»، وبذلك يكون عدد الأقسام عشرة، ثم قسم كل قسم الى تسعة. والكتب العامة التابعة لكل منها والتي لا تدخل تحت قسم من الأقسام يعطى لها رقم «٠»، وهذه العملية تكرر حسب الضرورة. والتقسيم العشري الأساسي كما يلي:

«٠» الكتب العامة، «١» الفلسفة، «٢» الدين، «٣» الاجتماع، «٤» اللغة، «٥» العلوم البحتة، «٦» الفنون النافعة، «٧» الفنون

الجميلة ، « ٨ » الآداب ، « ٩ » التاريخ . وعلى ذلك فان رقم « ٥١٢ » يعنى « ٥ » علوم بحتة « ١ » الذي يلي رقم « ٥ » فرع منه ، ويدل على الرياضيات ، ورقم « ٢ » يدل على الجبر .

وقد قام « ملفيل ديوي » بعمل جدول لجميع الأقسام وفروعها ، ونشرها في كتاب معروف في جميع أقسام الفهارس بالمكتبات العامة ليكون في متناول جميع المشتغلين بالخدمة المكتبية لارشاد الباحثين وانارة سبل البحث أمامهم .

وهذا التقسيم العشري الذي طبقه « ملفيل ديوي » تأخذ بـه أكثر من ١٤ ألف مكتبة في العالم ، وقد ترجمت الجداول الى اللغات الفرنسية ، والايطالية ، والاسبانية ، والبرتغالية ، والنرويجية ، والروسية ، والمجرية ، والبوهيمية ، والصينية ، واليابانية ، وترجمت منذ سنوات قليلة الى اللغة العربية . ويسجل رقم « ديوي » عادة في أسفل « الفيشة » وهو ما يطلق عليه رجال المكتبات « Class Number » وهو يختلف عن رقم الكتاب في المخزن ويطلق عليه « Call Number » .

ولكن الكتب ليست هي الوسيلة الوحيدة للبحث في المكتبة انما هنالك الدوريات ، وهي تصدر عادة في أعداد متوالية ، أو أجزاء ، من حين الى آخر ، وكل عدد أو جزء يحرره عدد من الكتاب . والعادة أن تكتب « فيشة » الكتاب الدوري بأول كلمة من العنوان ، لا باسم المقالة ، وتحرر فيشة اضافية « Added Entry » باسم الناشر .

وبعض المكتبات تتوسع في تحرير الفيشات للمجلات ، فتكتب فيشة لكاتب كل مقالة ، من المقالات التي يحتوي عليها العدد ، كأنها كتاب مستقل . وكانت جامعة القاهرة قـد شرعت في مثل هذا العمل منذ سنوات ، بيد أن المشروع لم يتم . وكذلك قام قسم القانون العام بكلية الحقوق بجامعة القاهرة بعمل فهرس شامل للموضوعات التي تشتمل عليها مجلات القانون الجنائي .

ولا بد للباحث لتسهيل وسائل البحث أن يرجع الى « حجرة المراجع » ، التي ، أيا كان وضعها في المكتبة ، هي المكان الذي يضم الكتب التي تتناول الموضوعات العامة ، ويرجع اليها الباحث للوقوف على حقيقة ما ، أو موضوع خاص . فالكتاب المعدود من المراجع ليس مما يتصفحه القارىء من أوله الى آخره ، انما يهدف فيه الباحث الى موضوع خاص . ومن المراجع : القواميس ، ودوائر المعارف ، والدوريات .

ويجب أن تضم كل مكتبة حجرة خاصة بالمراجع تحتوي عادة على الأطالس ، والمجلات ، والقواميس ، والتقاويم ، ودوائر المعارف ، والقوانين ، والنشرات الحكومية .

والمكتبة العربية غنية بالمراجع المفيدة . ومن دوائر المعارف القيمة : دائرة المعارف الاسلامية ، ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ، ودائرة معارف البستاني ، بيد انها لم تستكمل بعد ، ودائرة المعارف الحديثة لأحمد عطية الله ، ودائرة معارف الشعب ، ودائرة معارف مؤسسة فرانكلين بعنوان « الموسوعة العربية » . ومن القواميس المهمة : لسان العرب ، والبحر المحيط ، والقاموس ، وأساس البلاغة ، ومختار الصحاح وغيرها . ومن المراجع الدينية : صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وكتاب الطبقات ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة . ومن المراجع الأدبية : معجم الأدباء لياقوت الحموي ، والأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ، وكتاب الكامل للمبرد ، وزهر الآداب للحصري القيرواني ، ونهاية الأرب للنويري . ومن المراجع التاريخية : كتاب سير الملوك للطبري ، وتاريخ ابن الأثير ، ومروج الذهب للمسعودي ، وغيرها .

غير أن المراجع العربية تحتاج الى كثير من العناية والاهتمام ، حتى تخرج في صورة جذابة للقارىء ، وتسهل بها وسائل البحث أمام الباحثين .

أما المراجع الأوربية فقد قطعت شوطا كبيرا في التأليف والاخراج ، ففي ميدان القواميس هناك قواميس تعالج تاريخ اللغة ، وقواميس تعالج فقه اللغة ، وقواميس تعالج النطق أو اللهجات ، أو الألفاظ العامية أو نحوها .

ويجب أن يلم اخصائي المراجع بالفروق المائلة بين أنواع هـذه القواميس لارشاد الباحث الى مراده .

أما بالنسبة الى دوائـر المعارف فهناك دوائر معارف عامة ، « Encyclopedias » ودوائر معارف خاصة « Byclopedias » .

وقد كانت المقالات التي تضمنتها دائرة المعارف البريطانية ، وهي من دوائر المعارف العامة ، في طبعتها الأولى تميل الى الاطناب والاسهاب ، وكانت محررة بأقلام جهابذة العلماء والاخصائيين ، ولكنها في طبعاتها الجديدة توخت السهولة في الأسلوب ، والقصر في الموضوع ، وجعلت موضوعاتها في متناول القارىء العادي .

ومنذ سنوات تنبه الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد الى أن دائرة المعارف البريطانية قد أغفلت في طبعتها الجديدة مادة « صب » بينما احتلت الكلمة نفسها صفحات طويلة في الطبعات القديمة . ولعل ذلك يرجع الى اهتمام دائرة المعارف في طبعتها الحديثة الى تناول الموضوعات العملية التي تهم القارىء بدلا من أن تسبح في الخيالات والأوهام .

ويختلف كل مرجع عن الآخر من حيث التأليف والاخراج ، وليس من شك في انه كلما كانت شهرة المؤلف عظيمة ، وكان نزيها غير متحيز ، وسمعة الناشر حميدة ، والمراجعة دقيقة ، وتاريخ النشر حديثا ازدادت أهمية المرجع ، فضلا عن ان الأسلوب يقوم بدور حيوي كبير في التأثير على القارىء .

وليس من شك في أن المراجع التي تضم الكشافات والاحالات ، وترتب المواد ترتيبا سليما سواء من ناحية المعلومات الجغرافية أو التاريخية ، أو الاحصائية ، تفيد الباحث فائدة كبيرة في اداء مهمته . وكلما كان مظهر المرجع خلابا استهوى القارىء الى الرجوع اليه ولا سيما من ناحية الطباعة ، ونوع الحروف ، والورق ، وترتيب الصفحات ، والرسوم والتغليف ونحو ذلك .

ويضاف الى دوائر المعارف والقواميس الحوليات والمجمعات ، ومن أمثلة الحوليات :

« Statesman Year Book » و « World Almanac »

ومن أمثلة المجمعات « Chambers Book of Days » ومـن المراجـع الهامة التي تضم تراجم الشخصيات المعاصرة كتـاب : « The International Who is Who » أو « The Dictionary of International Biographies ».

هذه هي بعض التوجيهات المكتبية من أجل الاستفادة من المكتبة ، وغني عن البيان أن المكتبة كل لا يتجزأ والمعرفة متصلة مترابطة ، ومصادر البحث متعددة متنوعة ، والباحث الحق هو الذي يستطيع أن يخضعها لدرايته ويستخدمها في دراسته .

علم النميات ورواده في العالم العربي

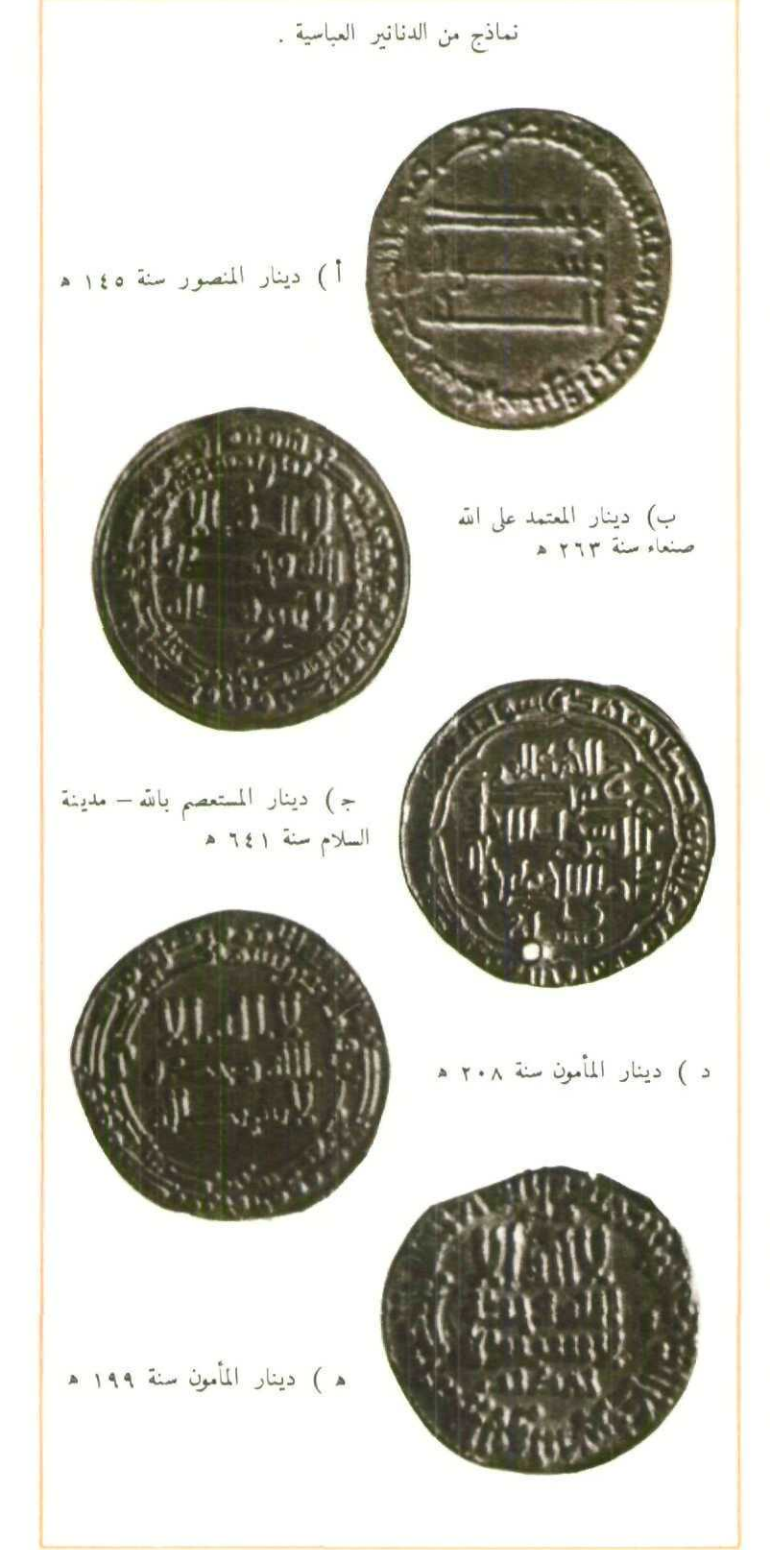
بقلم الاستاذ محمد ابو الفرج العش

تعتبر دراسة النقود القديمة أو علم النميات من أهم الدراسات العلمية الوثائقية في العصر الحاضر . ويعود البدء بالاهتمام بهذا العلم الى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي ، وأخد الاهتمام به ينمو ويزداد بشكل ملحوظ في القرن التاسع عشر ، ولا يزال له الأهمية الكبرى في القرن العشرين .

ويوجد في جميع الأمم الراقية حاليا جمعيات نمية ترتبط بها متاحف ومكتبات تصدر سنويا عددا من الكتب والمجلات والنشرات تلمّ بأبحاث جديدة في هذا الميدان . وتنشر باستمرار المكتشفات والمعلومات الجديدة التي تفيد العلوم الاجتماعية والأثرية الأخرى . كما يعقد العلماء المختصون في دراسة النقود مؤتمرات عالمية دورية بين وقت وآخر ، يعرض فيها كل عالم مشترك أحدث ما توصل اليه من اكتشافات في هذا العلم ، وتنشر نتائج هذه المؤتمرات ، وتوزع على جميع المؤسسات والمختصين .

ولم يهتم الباحثون بهذا العلم في الشرق الأدنى ، ما خلا قليل من الاتراك بدأ اهتمامهم في القرن التاسع عشر الميلادي ، ولعل أقدمهم جودت أفنـدي الذي ترجم مؤلفه العالم الفرنسي باربيي دومـينار (Barbier de Meynard) في مجلة (Journal Asiatique) سنة ١٨٦٢ ، وعبد اللطيف صبحي بك الذي نشر كتابا سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٢م) أسماه عيون الأخبار في النقود والآثار ، ثم مقريدس باشا الذي نشر مجموعة نقود صبحي باشا سنة ١٨٨٧م باللغة الفرنسية . أما الذين درسوا النقود من الأتراك في أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ونشروا أبحاثهم في مجموعة كتب « موزة همايون » فهم : أدهم اسماعيل غالب ، وخليل أدهم ، ومحمد مبارك غالب ، وأحمد توحيد ، وأحمد ضيا بك . ثم تبعهم باحثون آخرون في تركيا ، منهم في وقتنا الحاضر : الأستاذ ابراهيم أرتوك ، والآنسة صبرية أرتوك .

وفي الوقت الذي ظهر فيه الباحثون الأتراك الأوائل ظهرت فئة قليلة من المهتمين في البلاد العربية مثل السيوفي في الموصل الذي نشر بالفرنسية كتابا أسماه (Catalogue des Monmaies Arabes) في سنة ١٨٨٠م ، وأتبعه بملحق سنة ١٨٩١م . بيد أن الباحثين العرب ظلوا بصفة عامة غير مهتمين بهذه الأبحاث حتى الربع الثاني من هذا القرن. وكان المهتمون في البلاد العربية من العلماءالأجانب الذين يجمعون النقود التي تظهر نتيجة تنقيبات مقصودة أو اكتشافات عفوية . وكان جلّ هذه الاكتشافات تجد طريقها الى متاحف أوربة وأمريكا وأسواق النقود القديمة ، أو الى متحف « استنبول » قبل الحرب العالمية الأولى ، ككنز « زاخو » الذي اكتشف في العراق . من هؤلاء الباحثين الأجانب من كان مقيما في البلاد العربية ، ومنهم من كان منقبا أثريا ،



نماذج من الدنانير العباسية .

أ) دينار المنصور سنة ١٤٥ هـ

ب) دينار المعتمد على الله صنعاء سنة ٢٦٣ هـ

ج) دينار المستعصم بالله – مدينة السلام سنة ٦٤١ هـ

د) دينار المأمون سنة ٢٠٨ هـ

هـ) دينار المأمون سنة ١٩٩ هـ


النقود الأموية كما عرضت في الفرع الاسلامي – المتحف الوطني بدمشق .

ومنهم من كان يكلف بدراسة المجموعات المحفوظة في البلاد العربية . نذكر على سبيل المثال منهم في مصر قديما ادوارد ثوماس روجرز الذي نشر أبحاثه بين سنتي ١٨٧١ – ١٨٨٣م ، وحديثا الأستاذ يونغفليش الذي توفي سنة ١٩٥٨ ، والدكتور بول بالوغ الذي على الرغم من أنه كان طبيبا مقيما في مصر ، الا أن أبحاثه عن النقود الاسلامية كانت في غاية الدقة ، وكان يعتبر حجة في هذا الفن في العهد المملوكي (١) .

وبالاضافة الى ذلك كلف العالم الكبير الأستاذ لاين بول بدراسة مجموعات النقود الاسلامية المحفوظة في المكتبة الخديوية في القاهرة . كما كلف الأستاذ كازانوفا بدراسة مجموعة الخديوي اسماعيل . وفي المغرب نعرف السيد بريذز (٢) الذي نشر بعض نقود مجموعته الخاصة في الدار البيضاء سنة ١٩٣٩ . وفي الجامعة الأميركية في بيروت كلف الأستاذ بورنز بدراسة المجموعة المحفوظة في متحف الجامعة . وفي فلسطين والأردن كان مدير الآثار السيد هاملتون ينقب في المواقع الاسلامية ، فكشف مع الدكتور « ديمتري برامكي » ، مدير متاحف الجامعة الأميركية في بيروت حاليا ، قصر هشام بن عبد الملك في خربة المفجر . وكذلك اكتشف الأستاذ « هاملتون » نقودا أثناء تنقيبه الى جانب الجدار الشمالي لسور القدس القديمة بين سنتي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ، ونشر بحثا عن هذه النقود في مجلة مديرية آثار فلسطين سنة ١٩٤٠ .

ومن أهم العلماء الأجانب المقيمين الذين عنوا بدراسة النقود الكلاسيكية (من العصور اليونانية والرومانية والبزنطية) الأستاذ « هنري سيريغ » مدير المعهد الفرنسي للدراسات في بيروت سابقا ، وله شهرة عالمية في هذا الميدان .

ومن الجدير بالذكر أن المعلومات التي ذكرها المؤرخون والجغرافيون العرب ، على الرغم من تضاربها أحيانا فانها مفيدة للغاية ، فهي تعطينا فكرة عن تداول العرب النقود الأجنبية القديمة في صدر الإسلام ، ثم محاولة تطوير النقود وتعريبها وبيان أوزانها وعياراتها ، ومطابقتها للشرع الاسلامي ، وأوصافها ، وموقف المسلمين من المستحدثات النقدية ، وموقف البيزنطيين من هذه المستحدثات ، بالاضافة الى معلومات مفيدة عن سك النقود . ولعل أهم الأبحاث العربية القديمة في النقود هو ما كتبه المقريزي : «النقود العربية القديمة» و «شذور العقود في ذكر النقود».

أما الباحثون العرب الذين تذوقوا هذا العلم وأقبلوا عليه خلال السنين الأربعين الماضية فقد كان لبعضهم باع طويل فيه لكنهم لم ينشروا كثيرا من أبحاثهم لأنهم لم يكونوا متفرغين لهذا الفن . ومن هؤلاء :

الأمير جعفر عبد القادر الحسني الجزائري ، وهو من أقدر علماء النميات العرب ، وقد درس جميع النقود المحفوظة في متحف دمشق في عهده ، ونشر مقالا باللغة الفرنسية عن الوزنات العربية القديمة والصنجات (١) والنقود الأموية والعباسية النادرة .

والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب مدير آثار تونس ، وله دراية واسعة في هذا الباب ، وقد نشر بحثا عن الصنجات في سنتي ١٩٢٢ و ١٩٢٦ ، ونشر في سنة ١٩٣٢ بحثا آخر عن النقود الأموية في اسبانيا .

---

(١) نشر مؤخرا كتابه (٢) لا يمكن أن يعتبر (J. O. Brethes) عالما لأن في كتابه أغلاطا كثيرة . (٣) الصنجات زنات النقود العربية وهي مصنوعة من الزجـــاج .

والأستاذ ناصر الدين النقشبندي ، وهو من أكثر الباحثين العرب تفرغا للنقود في المتحف العراقي ، وقد نشر عدة مقالات عن النقود في مجلة سومر (العراقية) بين سنتي ١٩٤٦ و ١٩٦١ ، ونشر كتابا أسماه « الدينار الاسلامي في المتحف العراقي » ، صدر سنة ١٩٥٣ .

والأستاذ ناجي الأصيل في العراق ، وقد نشر بالفرنسية بحثا عن نقد نادر للخليفة المقتدر العباسي في سنة ١٩٤٦ .

ونشر الأب « انستاس ماري الكرملي » من العراق كتابه « النقــود العربية وعلم النميات » ، سنة ١٩٣٩ ، وقد تضمن النصوص المتعلقة بالنقود الواردة في كتب التاريخ القديمة مثل : فتوح البلدان للبلاذري ، مقدمة ابن خلدون ، النقود القديمة الاسلامية للمقريزي ، صبح الأعشى للتلقشندي . وقد ذكر في كتابه أسماء ومصطلحات نقدية مهمة جدا .

والأستاذ موسى المازندراني ، الذي نشر كتابا أسماه « العقد المنير » ، وطبع في النجف سنة ١٣٦١ هـ ، وفيه معلومات جيدة عن النقود .

والأستاذ يوسف الياس سركيس ، وقد نشر بحثا عن الصنجات والمسكوكات العربية في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٦ .

والأستاذ حبيب زيات ، وكتب عن « درهم الكاغد » في مجلة المشرق سنة ١٩٣٧ ، وهو النقد الورقي الذي ظهر في عهد المغول في العالم الاسلامي .

والسيد جليل برامكي ، ونشر في مجلة مديرية آثار فلسطين (QDAP) سنة ١٩٤٣ بحثا عن النقود العثمانية .

والسيد ن . ج . نصار ، ونشر في المجلة الآنفة الذكر سنة ١٩٤٨ مجموعة مهمة من النقود الاسلامية .

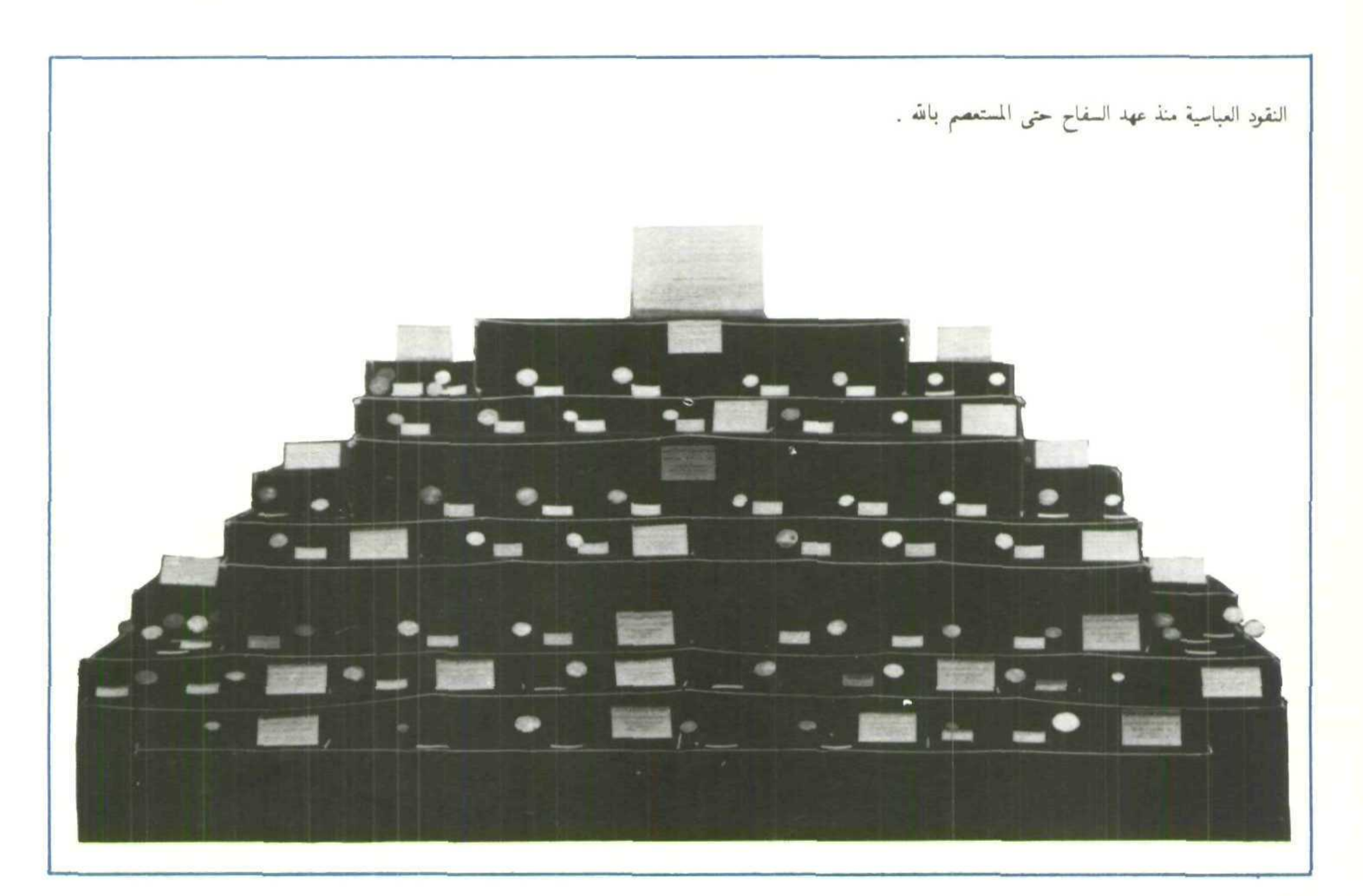
والأستاذ يوسف غنيمة ، ونشر بحثا عن النقود العباسية في مجلة « سومر » عام ١٩٥٣ .

والدكتور عبد المنعم ماجد . وقد كتب بحثا عن النقود الفاطمية في مجلة كلية آداب عين شمس في مايو سنة ١٩٥٣ .

والدكتور عبد الرحمن فهمي محمد ، أمين متحف الفن الاسلامي في القاهرة ، وقدم بحثا سنة ١٩٥٧ عنوانه « دراسات في السكة في مصر الاسلامية » نال بموجبه براءة الدكتوراه ، ونشر في السنة نفسها كتاب « صنج السكة في فجر الاسلام » ، كما قدّم لمؤتمرات الآثار العربية ابحاثا قيمة عن النقود العربية. وأصدر سنة ١٩٦٥ كتابا واسعا جدا يعتبر من أهم المراجع العربية في علم النميات حتى الآن ، وقدم له بدراسـة عميقة عن السكة العربية ، ثم وصف مجموعات متحف الفن الاسلامي التي تعود الى القرون الأربعة الهجرية الأولى في كتاب أسماه « فجر السكة العربية » . ويزمع الدكتور فهمي نشر بحوث أخرى عن محفوظات المتحف في كتب مماثـلة .

والآنسة وداد القزاز التي أخذت تكمل عمل المرحوم الأستاذ النقشبندي في المتحف العراقي ، فنشرت « الدرهم العباسي » في مقالين في مجلة سومر في سنتي ١٩٦٢ و ١٩٦٤ ، وستتابع عملها في هذا الميدان .

النقود العباسية منذ عهد السفاح حتى المستعصم بالله .



والأستاذ شفيق الامام الذي اهتم بدراسة النقود الاسلامية في متحف دمشق بين سنتي ١٩٤٢ و ١٩٥٣ ، وله دراية حسنة فيها ، الا أنه لم ينشر شيئا من دراساته . وكذلك اهتم المرحوم الدكتور يوسف السبع بدراسة النقود الكلاسيكية المحفوظة في المتحف ولم ينشر شيئا عنها . وخلفه الأستاذ بشير زهدي في متابعة هذه الدراسات منذ سنة ١٩٥٥ حتى الآن .

اما كاتب هذا المقال فقد بدأ يهتم بدراسة النقود العربية الاسلامية في متحف دمشق منذ سنة ١٩٥٣ . ولقد درس النقود المحفوظة سابقا والنقود التي دخلت المتحف في عهده . وهي مؤلفة من كنوز ضخمة من الذهب والفضة والنحاس وجدت في أنحاء كثيرة من سورية . يضاف اليها اللقى العفوية . والمجموعات الكبيرة التي جمعت من تجار الآثار .

وقد نشر في مجلة الحوليات السورية بحثا بعنوان « الكنز الذهبي الأموي » في سنتي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ، وآخر بعنوان « كنز الرقة النحاس » في سنتي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ . ثم عكف على دراسة كنز فضي كبير عثر عليه في دمشق سنة ١٩٥٠ يتألف من ١٤٣٨ درهما ساسانيا وساسانيا عربيا ، ٢٣٧٧ درهما أمويا . وقد بدأ بدراسته في دمشق ، واطلع عليه الدكتور (جورج س مايلز) أمين المتحف الرئيسي في جمعية النميات الأمريكية في نيويورك ، فنظم لكاتب هذه السطور دعوة الى الجمعية في نيويورك للاطلاع على المراجع الخاصة بالنقود الساسانية . وقد كتب بعد عودته شطرا كبيرا من البحث سينشر عند انتهائه .

في دمشق عالم نميات درس هذا العلم في فرنسا ومارس معاينة النقود الأرمنية والعربية والكلاسيكية في كثير من متاحف النقود في العالم ، وهو السيد بيرج كارابتيان . وقد حضر السيد كارابتيان عدة مؤتمرات للنقود وكتب أبحاثا جيدة . ولعله يعتبر العالم الوحيد في سورية الذي يعرف جيدا النقود الأرمنية والنقود الاسلامية المضروبة في أرمينية .

وكان للمرحوم الدكتور يوسف عرقتنجي في دمشق هواية في جمع النقود القديمة ولديه مجموعة مهمة مسجلة . الا أنه لم يكن له دراية واسعة .

أما المرحوم الدكتور جميل مسعود الكواكبي في دمشق فقد كان هاويا وعارفا بالنقود . ولدى أسرته الآن مجموعة من النقود المهمة المسجلة في المديرية العامة للآثار والمتاحف .

وفي القاهرة هاويا نقود هما الدكتور فهمي سلام (أستاذ العلاج بالذرة المساعد — كلية الطب — جامعة القاهرة) والدكتور هنري أمين عوض (مدير مستشفى الأمراض الجلدية — القاهرة — السيدة زينب) .

وفي العراق يهتم الآن السيد محمد باقر الحسيني بدراسة النقود العربية الاسلامية ، وقد حضر شهادة الماجستر بدراسة نقود الأتابكة ، ويحضر الآن شهادة الدكتوراه بدراسة نقود السلاجقة .

هذه لمحة موجزة عن الباحثين في هذا العلم في البلاد العربية ، يلاحظ أن عددهم لا يزال قليلا .. ويرجى أن يكثر هؤلاء الرواد ، وأن يهتم المؤرخون والأثريون بهذا العلم الذي لا يزال في بدايته .

نقود الدويلات : الحمدانية ، الطولونية ، الاخشيدية ، الأغلبية في عهد الدولة العباسية .



طبقات الشعراء

بقلم الامير نديم آل ناصر الدين

الشعر في كل عصر من العصور ، قائلوه أربع طبقات ، فشعراء الطبقة الأولى ، يتساوون في المقام الشعري وان اختلفوا تساويا في فنون الشعر ، اذ نرى كل واحد منهم يتفوق في ما لا يتفوق فيه غيره من أنداده . واذا قدر لواحد أن يجود في جميع فنونه ، وهذا نادر جدا ، كان بلا جدال أمير الشعراء في عصره .

وعلى هذا نرى شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، لا يملك واحد منهم حق التفوق على سواه في جميع فنون الشعر ، حتى يصح أن نسميه أمير شعراء الجاهلية ، وان كان عنترة العبسي الأمي ، في رأيي ، أقربهم الى سد الامارة ، بما يتصف به شعره من السهولة والعذوبة ، والديباجة المشرقة ، وبراعة الوصف والتشبيه ، في مثل قوله :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

واذا كانت كل قبيلة في الجاهلية تتعصب لشاعرها ، فتسميه أمير الشعراء ، أو حامل اللواء ، فإن هذا الرأي في التسمية لم يأخذ به الا من يدينون لها بالولاء من القبائل . وهنالك أفراد لم يتأثروا بعصبية القبائل ، وانما آراء خاصة يبنون عليها أحكامهم في تفضيل هذا الشاعر على سواه ، وايلائه زمام السبق في حلبة الشاعرية !

وكذلك ، نرى النقاد في صدر الإسلام يختلفون في الرأي والمفاضلة بين الشعراء الفحول ، فلكل شاعر جماعة تفضله على غيره ، وترى فيه حامل اللواء .

قال ابن رشيق « المشاهير من الشعراء أكثر من أن يحاط بهم عددا ، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم وسار شعرهم وكثر ذكرهم حتى غلبوا على سائر من كان في زمانهم ، ولكل منهم طائفة تفضله وتتعصب له ، وقلما تجتمع على واحد ، الا ما روى في المأثور عن امرىء القيس الكندي انه أشعر الشعراء . »

وقال غيره : ان امرأ القيس الكندي لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق الى اشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها لأنه أول من لطف المعاني ، واستوقف عن الطلول ووصف النساء بالظباء والمها ، وشبه الخيل بالعقبان ، وفرق ما بين النسيب وما سواه من القصيدة ، وقرّب مآخذ الكلام ، وأجاد الاستعارة والتشبيه .

وقال عمر بن شبة : « للشعراء أول لا يوقف عليه ، وقد اختلف في ذلك العلماء ، وادعت كل قبيلة لشاعرها أنه الأول ، فادعت اليمانية لامرىء القيس ، وبنو أسد لعبيد بن الأبرص ، وتغلب للمهلهل ، وبكر لعمرو بن قميئة المرقش الأكبر ، واياد لأبي دؤاد ، وزعم بعضهم أن الأفوه الأزدي أقدم من هؤلاء وأنه أول من قصد القصيد .

وقال غيره : ان الفحول في الجاهلية متشابهون ، هم : زهير ، والنابغة ، والأعشى ، وكان خلف الأحمر يقول ان أجمعهم الأعشى ، وقال ابو عمرو بن العلاء ان الأعشى مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيرها .

واختلفوا على أصحاب المعلقات ، فبعضهم قالوا ان أصحاب المعلقات ، هم : عنترة ، وامرؤ القيس ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة ابن العبد ، وزهير بن أبي سلمى ، ولبيد ، والحارث بن حلزة . وقال بعضهم ان أصحاب المعلقات ، هم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة .

وقيل : سأل عكرمة بن جرير أباه جريرا : من أشعر الناس ؟ قال : في الجاهلية زهير ، وفي الإسلام الفرزدق نبعة الشعر . قال عكرمة : والأخطل ؟ قال جرير : يجيد المديح . قال : فما تركت لنفسك ؟ قال : دعني فإني بحرت الشعر بحرا » .

وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وفي وقته ، فقال : « أشعر الجاهلية : امرؤ القيس ، وأضربهم مثلا طرفة . وأما شعراء الوقت : فالفرزدق أفخرهم ، وجرير اهجاهم ، والأخطل أوصفهم » .

وسئل الحطيئة من أشعر الناس ؟ فقال : « الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

يعني زهيرا ، ثم قال : والله لولا الخشوع لكنت أشعر الماضين ، وأما الباقون فلا شك أني أشعرهم . »

وقال الفرزدق : « امرؤ القيس أشعر الناس » . وقال الأخطل : « الأعشى أشعر الناس » . قال ابن احمر : « زهير أشعر الناس » . وقال ذو الرمة : « لبيد أشعر الناس » . وقال النضر ابن شميل : « طرفة أشعر الناس » . وقال الكميت : « عمرو بن كلثوم أشعر الناس » .

وقال ابن سلام : « قال أهل النظر : كان زهير أحصفهم شعرا وأبعدهم عن سخف ، وأجمعهم لكثير من المعاني ، في قليل من المنطق . وأما النابغة فكان أحسنهم ديباجة ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا ، وكان شعره كلاما ليس فيه تكلف ، وزعم أصحاب الأعشى أنه أذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، ومدحا وهجاء وفخرا وصفة » .

وقال عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أنشدني لأشعر شعرائكم ، قال : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير ، قال عبد الله : أو كان كذلك ، قال : كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع حواشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه » .

ولابن رشيق قوله : ان الثلاثة المهلهل ، وعمر ابن أبي ربيعة ، والعباس بن الأحنف ، يؤثرهم

على غيرهم من يؤثرون الأنفة وسهولة الكلام ، والقدرة على الصنعة والتجويد في فن واحد .
اما الشعراء المولدون ، فأشهرهم الحسن بن هاني ، وأبو تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، وابن المعتز . ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا » .

تقدم يدرك القارىء أن النقاد يختلفون رأيا في المفاضلة بين الشعراء الفحول . أما ما يجمع عليه المنصفون منهم في كل عصر وأوان ، فهو ان لكل شاعر من شعراء الطبقة الأولى حلبة لا يجاريه فيها غيره من المبرزين في الحلبات الأخرى . فالذين يرون في المتنبي شاعرا ملأ الدنيا ذكره لقوة شاعريته ، وقدرته على توليد المعاني ، وفي ما تحويه أبياته من روائع الحكمة والفلسفة ، مما لا يجاريه غيره فيه ، يرون هم أنفسهم في شعر أبي فراس الحمداني ، من علو النسج وروعة الديباجة وجزالة الكلام ، مما لا يباريه المتنبي نفسه في حلبته . ومثل هؤلاء مع المتنبي وأبي فراس ، مثلهم مع أبي تمام ، والبحتري ، والشريف الرضي ، وأمثالهم . فلكل منهم مزيته الخاصة التي تحله كرسيه من صدارة الشعر العربي الأصيل .

ونعلم أن الشعراء في صدر الإسلام كان لهم ألقاب هي أكثر مطابقة للمعنى من الألقاب التي تطلق على الشعراء في هذا العصر . فكان الشاعر من شعراء الطبقة الأولى اذا جمع الى جودة شعره ، رواية الجيد من شعر غيره ، لقبوه « بالشاعر الخنذيذ » ، واذا كان مجودا في شعره ، ولم يرو الجيد من شعر غيره ، لقبوه « بالشاعر المفلق » . وكان المرء من شعراء الطبقة الثانية ، يلقبونه « بالشاعر » فقط ، والمرء من شعراء الطبقة الثالثة يلقبونه « بالشويعر » والمرء من شعراء الطبقة الرابعة ، يلقبونه « بالشعرور » ..

قال أحد الشعراء :

الشعراء فاعلمن أربعه
فشاعر يجري ولا يجرى معه
وشاعر يجول وسط المعمعة
وشاعر لا تشتهي أن تسمعه
وشاعر لا تستحي أن تصفعه

وقال الحطيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه
والشعر لا يستطيعه من يظلمه
اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فعجمه

من تراث العرب

صفات الرجال

* **تحدث أعرابي عن أخوة ثلاثة فقال :** قلت لأحدهم : أخبرني عن أخيك زيد فقال : والله ما رأيت أحدا أسكن فورا ، ولا أبعد غورا ، ولا آخذ لذنب حجة قد تقدم رأسها من زيد . فقلت : أخبرني عن أخيك زائد . قال : كان والله شديد العقدة ، لين العطفة ، ما يرضيه أقل ما يسخطه . فقلت : فأخبرني عن نفسك . فقال : والله ان أفضل ما فيّ لمعرفتي بفضلهما واني مع ذلك لغير منتشر الرأي ولا مخذول العزم » .

حكمة العجاج

* **دخل العجّاج على عبدالملك بن مروان فقال هذا له:** يا عجّاج ، بلغني أنك لاتقدر على الهجاء . فقال : يا أمير المؤمنين ، من قدر على تشييد الأبنية أمكنه اخراب الأخبية . فقال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : ان لنا عزا يمنعنا من أن نُظْلَم ، وان لنا حلما يمنعنا من أن نظلم ، فعلام الهجاء ؟ فقال : كلماتك أشعر من شعرك فأنّى لك عز يمنعك من أن تُظلَم ؟ قال : الأدب البارع والفهم الناصع . فقال : فما الحلم الذي يمنعك من أن تظلم ؟ قال : الأدب المستطرف والطبع التالد . قال : يا عجّاج ، لقد أصبحت حكيما . قال : وما يمنعني وأنا نجي أمير المؤمنين ؟

حسن السؤال

* جاء أعرابي الى المأمون وأنشد قائلا :

اني رأيتك في منامي سيدي — يا ابن الكرام على الجواد السابق
فكسوتني حللا لطائف حسنها — يزهو على حسن الكميت اللاحق

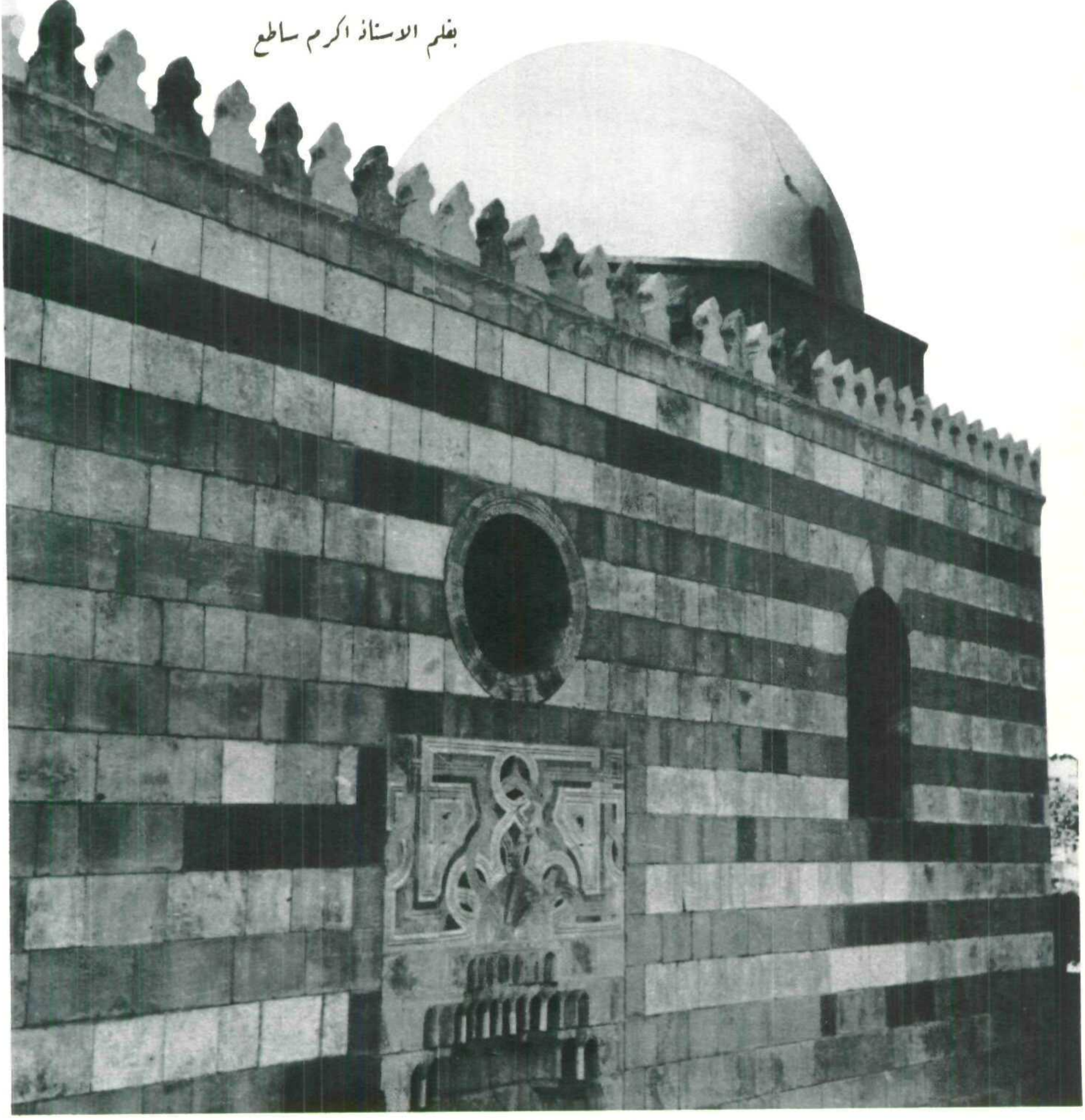
فقال المأمون : أعطوه حللا وفرسا . فقال :

وأجزتني بخريطة مملوءة — ذهبا وأخرى باللجين الفائق
وحبوتني بركوبة نجدية — سوداء تنهض بالغلام الآبق

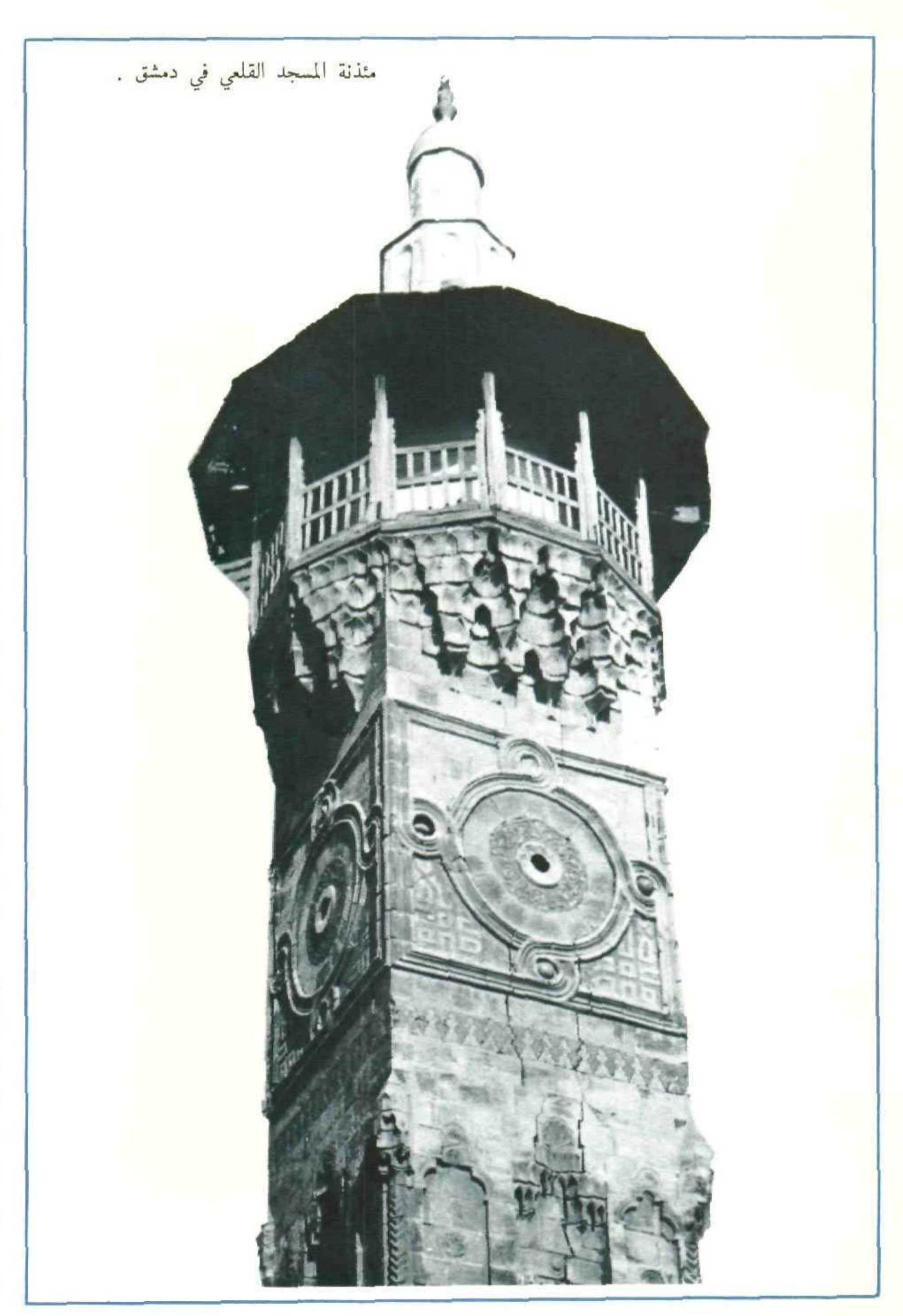
فأمر له بناقة نجدية سوداء وخادم وأربعمائة دينار ، ثم قال له : اياك أيها الأعرابي أن ترى مثل هذا المنام مرة أخرى فانك لن تجد من يفسره لك .

المماليك ومآثرهم العمرانية

بقلم الاستاذ اكرم ساطع



واجهة المدرسة الجقمقية في دمشق .



مئذنة المسجد القلعي في دمشق .

نهج المماليك سياسة الأيوبيين في الانشاء والتعمير . وقد انصرف بعض سلاطينهم ونواب السلاطين منهم وذوي الجاه في ظل ظروف سياسية واقتصادية معينة الى الاكثار من بناء المدارس والمساجد والتكايا والمستشفيات والخانات والحمامات والمدافن وسبل المياه وذلك تمجيدا لذكراهم .

وتحقيقا لرغبة هؤلاء فقد اهتم البناؤون بتوفير العناصر الزخرفية بسخاء حتى بلغ فن الهندسة المعمارية العربية في العهد البرجي(١) أوج روعته ومنتهى رقيه . وهذه الزخارف نجدها في نحت الحجر ونقشه ، واعطائه شكل المشربيات والتيجان والأشرطة الكتابية والخطوط العربية واستعمال المداميك المتناوبة في الألوان . ويخيل للناظر الى أول مبنى مملوكي ان العناية تركزت فقط بواجهات الأبنية ، ولكن الأمر يختلف عن ذلك ، وسرعان ما يتضح للمرء ان داخل المبنى لا يقل رونقا عن واجهته ، حيث نجد جدران الغرف والأواوين قد كسيت بالرخام المجزّع أو بالفسيفساء ، كما نشاهد السقوف الخشبية وقد زخرفت بالدهان والرسوم الملونة التي تبهج الناظرين وتكثر المباني المملوكية في مدينتي دمشق وحلب ، وهي شواهد رائعة على الفن المملوكي بمختلف عصوره .

فاذا أتينا على ذكر الجوامع في مدينة حلب فلا بد لنا من ذكر جامع (الطنبغا) ، وهو أول جامع بني بعد الجامع الكبير(٢) داخل سور المدينة وعلى كنف خندق الروم ، وقد بناه «الطنبغا الصالحي»(٣) نائب السلطنة في حلب سنة (٧١٨)ه ، ويعتبر مثلا رائعا من فن الريازة المملوكية ، زينت واجهته بمداميك سود وبخيط عريض حول نوافذه وبابه الكبير .

وقد نقش على بابه الكبير ما يلي : (بسم الله الرحمن الرحيم . انما يعمر مساجد الله من آمن

---

(١) من اواخر القرن الثامن الهجري حتى الفتح العثماني . (٢) الجامع الأموي في حلب الذي بناه سليمان بن عبد الملك . (٣) هو الأمير علاء الدين الطنبغا تولى حلب في سنة ٧١٤ ه ثم تولاها في سنة ٧٣٢ ه .



واجهة مسجد الاطروشي في حلب .

بالله واليوم الآخر . أنشأ هذا الجامع المبارك الفقير الى الله تعالى المقر الأشرف العالي العلائي الطنبغا الناصري تغمده الله برحمته وعفا عنه وذلك في أيام دولة مولانا السلطان الناصر محمد عز نصره في شهر رجب سنة ثماني عشرة وسبعمائة من الهجرة النبوية والحمد لله) .

جامع الاطروش: بدأ ببنائه (أتبغا الأطروشي) (٤) نائب السلطنة ، وقد عاجلته المنية قبل انجازه عام ٨٠٦هـ فأكمل بناءه الدمرداش (٥) . وكان للجامع شأن كبير لدى نواب حلب حيث كانوا يؤدون صلاة العيدين (الفطر والأضحى) ، وقد انفرد هذا الجامع بمحاسن عديدة منها الأعمدة التي لا نظير لها في السمك والطول ، ومحرابه الذي يأخذ بالألباب ويبهر الأبصار ، ومنبره المصنوع من المرمر على آجمل طراز وأبدع شكل ، وجداره الغربي المشتمل على نوافذ عديدة حفت بها صنعة البناء بشكل يدهش الناظرين .

ومن المدارس المملوكية الشهيرة نذكر المدرسة السفاحية التي بناها ووقفها القاضي أحمد بن صالح ابن السفاح في عام ٨٢٨هـ . ولها واجهتان جميلتان وباب بمتدليات ومنارة رشيقة ، وقد نقش على بابها ما يلي : (أنشأ هذا المكان المبارك ووقفه جامعا ومدرسة الفقير الى رحمة الله تعالى أحمد ابن السفاح الشافعي في شهر رجب سنة ٨٢٨هـ في أيام الملك الأشرف ابي النصر الدقماقي) .

واذا كان لا بد من ذكر شيء عن « البيمارستانات » الشهيرة في حلب فاننا نشير الى البيمارستان (٦) الأرغون الكاملي الذي أنشأه الأمير سيف الدين أرغون (٧) سنة ٧٥٥هـ ، فرفع قواعده ومهد مجالسه وايوانه ، وهيأ بيوته ومراقده ، وجهزه بالمعدات والآلات ، ورتب لحفظ الصحة فيه أرباب الحكم ، وأباحه للضعيف والسقيم ، وزوده بالمياه ، وأنفق عليه أموالا غزيرة . ووقف للقيام بمصالحه ما يزيد على كفايته . ولا يزال على أحسن حال . فجميع عناصره تكاد تكون سليمة ، وهي تشتمل على بوابة ضخمة ، ودهليز ذي أعمدة وايوانات ، كما يشتمل عل خلوات للمرضى .

أما بالنسبة للخانات فمن المعلوم أن سوريا لعبت دورا كبيرا في التجارة العالمية في العهد المملوكي ، فصارت البضائع الشرقية تمر عبرها الى أوروبا ، فاقتضت الحاجة تشييد أبنية في الأسواق العامة تخص تجار الجملة لاتخاذها مكاتب ومستودعات لبضائعهم ، عرفت بالخانات. وهذه كانت تتألف من طابقين : الأول يستعمل مستودعا للبضاعة ، والثاني يستخدم مأوى لأصحابها .

ومن أشهر هذه الخانات (خان الصابون) وقد بناه « أزدمر » في مطلع القرن السادس عشر ، له واجهة فخمة من أروع ما أنتجه البناؤون ، تزدان بالخيوط العريضة من الزخارف الهندسية المتشابكة . ومن الخانات المشهورة أيضا (خان خايربك) وقد بناه آخر أمراء المماليك في حلب ، واشتهر ببوابته الجميلة التي عليها كتابات وشعارات مختلفة .

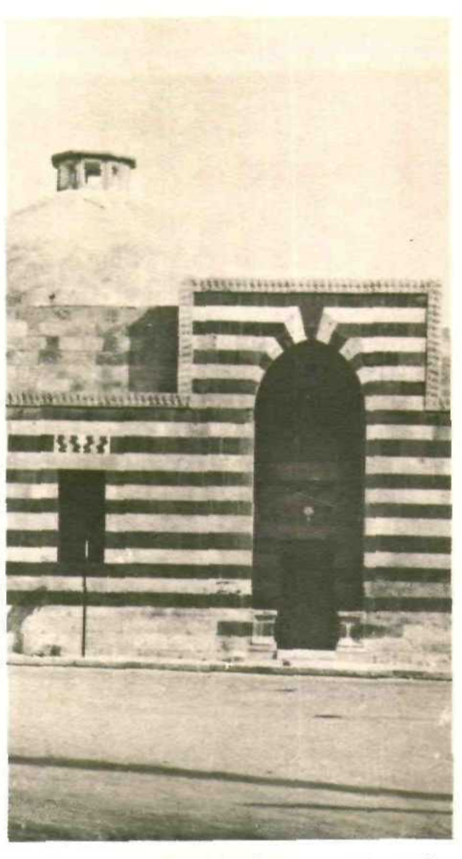
هذا وقد اعتنى المماليك أيضا بسبل المياه العامة ومد قساطلها لجعلها عامة لأبناء السبيل والمارة نذكر منها على سبيل المثال :

قسطل « علي بك » ، ويعتبر من أشهر قساطل حلب يجري فيه الماء دائما من قناة خاصة ،

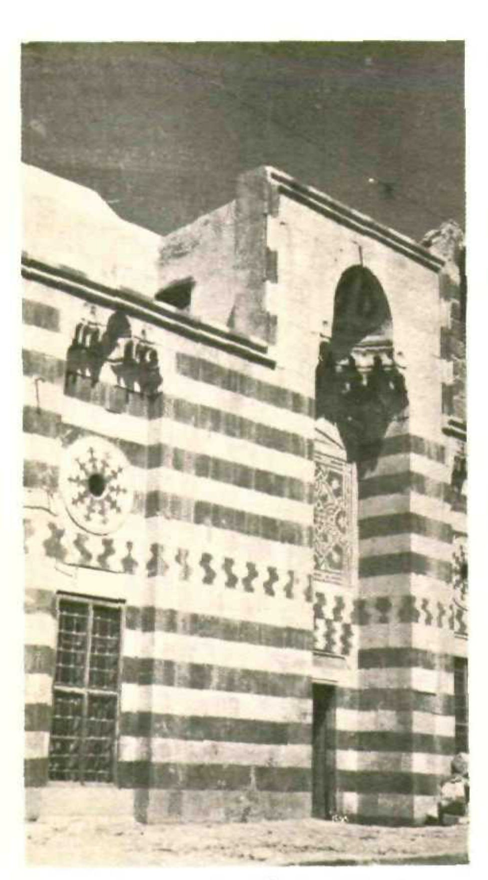
(٤) توفي سنة ٨٠٦ هـ ودفن في الجامع المذكور . (٥) دمرداش ولايته على حلب سنة ٨١١ هـ . (٦) البيمارستان هو مستشفى بصورة عامة الا أنه مستشفى للأمراض العقلية بصورة خاصة . (٧) كان نائب السلطنة في دمشق ثم في حلب ثم سجن في الاسكندرية وتوفي بالقدس .



أحد الأجزاء الداخلية للمدرسة الجقمقية .



الحمام الناصري من الحمامات الشهيرة في حلب.



واجهة المدرسة الأفريدونية في دمشق .

وقد كتب على جداره ما يلي : (أنشأ هذا السبيل المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري ابتغاء لوجهه تعالى ، علي بك السيفي المولوي في شوال سنة خمس عشرة وتسعمائة) . وعلى كل من جانبيه دائرة نقش عليها العبارة التالية : (عز مولانا السلطان ا لملك الأشرف قانصوه الغوري عز نصره) .

ومن الحمامات الشهيرة في حلب ، الحمام الناصري الذي شيده الأمير « يلبغا » الناصري(٨) سنة ٨٨٣هـ في مكان غير بعيد من خندق القلعة ، وتعتبر واجهته من أجمل الواجهات رونقا ، كما ان البناء في مجمله متقن وينقسم الى ثلاثة أقسام هي (البرّاني) ، أي القسم الأول ، وهو مؤلف من ساحة واسعة تعلوها قبة عالية ذات كوى مغطاة بزجاج ملوّن تسمى « قمريات » . أما ارضها فمفروشة بالرخام الملوّن تحيط بها المصاطب العريضة ذات « درابزين » خشبي جميل ، وعليها يخلع المستحم ثيابه ويعلقها على المشاجب الخشبية أو يحفظها في الخزائن الجدارية . أما (الوسطاني) أي القسم الأوسط من البناء ، فانه يتألف من ساحة أصغر مساحة تعلوها قبة صغرى ، وارضها مفروشة بالرخام أيضا ويحيط بها خلوات صغيرة ذات قباب عالية . وفي هذه الخلوات قسطلان احدهما للمياه الساخنة والآخر للمياه الباردة تصب في أجران حجرية كبيرة . واما (الجوّاني) ، اي القسم الداخلي فانه يشبه في تقسيماته وخلواته القسم (الوسطاني) الا أن حرارته تكون أشد لوجود بيت النار الى جواره مباشرة .

المدرسة الافريدونية (٩) : تعتبر واجهتها الخارجية من أجمل ما خلفه العصر المملوكي في البناء والزخرفة ، وتتميز بخيوطها العربية وبلوحاتها المرصعة برشاقة وبراعة .

المدرسة الجقمقية : وقد عمرها سيف الدين جقمق المملوكي(١٠) بالقرب من مدفن صلاح الدين الأيوبي . واجهاتها بيضاء مخططة بمداميك سوداء ، وفي وسطها مدماك مؤلف من حجارة بيضاء وسوداء متعرجة . أما بوابة المدرسة فعالية مزينة بمقرنصات بديعة جدا تعلوها (طاسة)(١١) محززة ، ولوحات من الرخام المجزّع ذات خطوط متقاطعة بشكل بديع جدا . بيد أن الجدران في الداخل والمحراب مزينة أيضا بالرخام المجزّع وموشاة بالكتابات الكوفية المزهرة والكتابات النسخية الكبيرة التي تشكل بمجموعها نطاقا فوق كسوة الجدران من جميع الجهات . لقد استمرت هذه المدرسة في اداء رسالتها خلال العصور ، ومنذ نهاية القرن التاسع عشر أصبحت مدرسة على الطريقة الحديثة ، وقد تركت أثرا طيبا في نفوس أولئك الذين درسوا فيها منذ نعومة أظفارهم .

المدرسة الظاهرية : وقد خصص القسم الجنوبي الغربي من البناء ليكون مدفنا للملك الظاهر وابنه الملك السعيد « بركة قان » . وقد زينت جدرانه بالرخام المجزّع والفسيفساء .

ومن آثار المماليك العمرانية في سوريا المآذن الجميلة التي تعتبر مثلا رائعا لفن بناء المآذن وزخرفتها في العصر المملوكي ، ومن بينها مئذنة (جامع القلعي) وقد بنيت في العقد الثالث من القرن الخامس عشر الميلادي بأضلاع مثمنة ومزينة بألواح القاشاني .

(٨) احد نواب السلطنة في حلب وكان محبا للعمران . (٩) افريدون بن محمد الأصفهاني وكان من كبار التجار توفي سنة ٧٤٤ هـ . (١٠) سيف الدين جقمق : نائب السلطنة بدمشق سنة ٨٢٣ هـ . (١١) باصطلاح البنائين وتعني نصف قبة محززة .

ابن البيطار *

بقلم الاستاذ اسامة عانوتي

ليس من العدل ولا من الصواب في شيء ، ان يذكر علم النبات دون وقفة تدبر مشفوع بتجله حيال « امام النباتيين ، وعلماء الأعشاب » ضياء الدين أبي محمد ، عبد الله بن أحمد ، المالقي ، المعروف بابن البيطار .

ولد في مالقه ، أو بالقرب منها — كما يذهب سارتون في أواخر القرن الهجري السادس (الثاني عشر للميلاد) . وتوفي فجأة ، في دمشق سنة ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) . وما برح مكبا على علم النبات يدرسه ، ويتدبره الى أن سنحت له فرصة الدرس والتنقيب العمليين ، فسافر عام ١٢١٩م الى شمالي افريقية ، وطوف في مراكش والجزائر وتونس ، كما جاب آسية الصغرى ، وربما سورية ، وفلسطين والجزيرة العربية ، ثم مصر التي عينه ملكها الأيوبي الكامل « رئيسا على العشابين » (علماء النبات) فيها .

بل انه بلغ — كما يروي ابن أبي أصيبعة — « بلاد الأغارقة ، وأقصى بلاد الروم ، ولقي جماعة يعاينون هذا الفن ، وأخذ عنهم معرفة نبات كثير ، وعاينه في مواضعه . واجتمع أيضا في المغرب وغيره بكثير من الفضلاء في علم النبات ، وأخذ عنهم معرفة نبات كثير ، وعاين منابته ، وحقق ماهيته ، واتقن دراية كتاب « ديسقوريدس » اتقانا بلغ فيه انه لا يكاد يوجد من يجاريه فيه . »

ويصف ابن أبي أصيبعة أسلوب ابن البيطار في عمله اذ يقول : « ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيرا من النبات في مواضعه ، وقرأت عليه أيضا تفسيره لاسماء أدوية كتاب « ديسقوريدس » ، فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئا كثيرا جدا . وكنت أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة مثل كتاب « ديسقوريدس » و « جالينوس » و « الغافقي » وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن ، فكان يذكر أولا ما قاله « ديسقوريدس » في كتابه باللفظ اليوناني ، ثم يذكر ما قاله « جالينوس » فيه من نعته ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك ، ويذكر أيضا جملا من أقوال المتأخرين وما اختلفوا فيه ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعته . فكنت أراجع تلك الكتب ولا أجده يغادر شيئا مما فيها . وأعجب من ذلك أيضا ، انه كان ما يذكر دواء الا ويعين في أي مقالة هو من كتاب « ديسقوريدس » و« جالينوس » ، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية في تلك المقالة . »

وهكذا كانت دراسته دراسة علمية وعملية معا ، حسبها انها كلفته أن يطوف في أقطار عدة وان يستقصي مواطن أجناس شتى من النبات . ولا أحسبن تلميذه ابن أبي أصيبعة ، الذي صاحبه في بعض جولاته العلمية ناحية دمشق ، قد جاوز الصواب وان هو قد جنح الى المبالغة ، حينما وصفه بقوله : « هو الحكيم الأجل ، العالم ، أوحد زمانه ، وعلامة وقته في معرفة النبات ، وتحقيقه ، واختباره ، ومواضع نباته ، ونعت اسمائه . على اختلافها وتنوعها » ، فان العلامة سارتون وهو من أكبر مؤرخي العلوم في العصر الحديث ، يصف كتاب ابن البيطار « الجامع في الأدوية المفردة » قائلا : «انه خير ما ألف في هذا الموضوع في القرون الوسطى . بل انه لأضخم نتاج من نوعه منذ أيام «ديسقوريدس » حتى منتصف القرن السادس عشر » . ويثني على نهجه في تأليفه من حيث الدقة ، والتمحيص ، والموازنة ، فضلا عن الملاحظات الشخصية . وكذلك فعل « لكلار » الذي فصل تقصيه أشتاتا من النبات في مواطنه الأصلية وأسمائه المختلفة ، واسماء مواضعه ، وتحققه مما يقع تحت يده .

وقد خلف ابن البيطار نتاجا نفيسا أهمه كتاب « الجامع في الأدوية المفردة » أو « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » الذي يسمى أيضا « مفردات ابن البيطار » الذي ذكرنا قبلا شهادة سارتون فيه ، والذي يقول عنه : « وهو مجموعة من العلاجات البسيطة المستمدة من المعدن والنبات والحيوان ، جمعت من مؤلفات الأغارقة والعرب ومن تجاريب المؤلف الخاصة ، وهو مرتب على حروف المعجم ... » ويقع في نحو ٢٣٠٠ جملة تتعلق بنحو ١٤٠٠ عقار . ومن هذه

* يجب علي اسداء خالص الشكر للعون الصادق ، الكريم الذي أبداه لي — في هذا البحث — الدكتور جان مرهج ، الأستاذ في دائرة « علم الحياة » في الجامعة الأميركية في بيروت ، والدكتور وارطان سفريان ، استاذ « علم العقاقير » في المعهد الطبي الفرنسي في بيروت .

العقاقير ألف جاءت في المباحث اليونانية . كما انه يلخص معلومات في مؤلف سمّاه « الفلاحة الرومية » الذي يرجح انه ترجمة لكتاب « كولوميلا » المسمى « الزراعة » .

وقد أتى في هذا الكتاب بنحو ثلاثمائة عقار وغذاء جديد لم تكن معروفة من قبل منها مائتا عشبة جديدة . كما صان لنا من الضياع ، نتاج خمسين ومائة نباتي ، بينهم حوالي عشرين عالما يونانيا ، وطائفة من العلماء الفرس والهنود والسريان والكلدان . وقد ترجم هذا الكتاب الى عدة لغات كالفرنسية واللاتينية والألمانية . يقول « خوليوكولا البريك » ما يلي :

« وأما بحثه عن الفصيلة البرتقالية الذي أحرز في وقته تقديرا عظيما ، فقد جاء كاملا شاملا . ونظرا لغزارة موارده ورسوخه فينبغي أن يعد أفضل مجموعة تامة في هذا الموضوع . ترجمه الى اللاتينية سنة ١٥٧٣ « اندريس الباغو » ، ومن بعده نشر « بيلوفكيرنكي » سنة ١٧٥٧ ترجمة أخرى تحت عنوان « ابن البيطار » وبحثه عن الفصيلة الليمونية مع التعليق » .

ولعل خير تعريف بكتابه هذا ما قاله هو نفسه في مقدمة «الكتاب» : الغرض الأول بهذا الكتاب استيعاب‌القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام ، والاستمرار عند الاحتياج اليها في ليل كان أو نهار ، مضافا الى ذلك ذكر ما ينتفع به الناس من شعار ودثار . واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات من كتاب الأفضل « ديسقوريدس » بنصه . وكذا فعلت أيضا جميع ما أورده الفاضل « جالينوس » في الست مقالات من مفرداته بنصه . ثم ألحقت بقولهما من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية ما لم يذكراه ، ووصفت فيها عن ثقات المحدثين وعلماء النباتيين ما لم يصفاه ، واسندت في جميع ذلك ، الأقوال الى قائلها ، وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها واختصصت بما تم لي به الاستبداد ، وصح لي القول فيه ووضح عليه الاعتماد . الغرض الثاني : صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين ، وأحرره عن المتأخرين .... وسميته بالجامع لكونه جمع بين الدواء والغذاء ، واحتوى الغرض المقصود مع الايجاز والاستقصاء .

ويلي هذا الكتاب في الأهمية كتاب « المغني في الأدوية المفردة » (لا يزال مخطوطا) الذي يمكن أن يعتبر اعادة لكتاب « المفردات » . اذ يتناول الأعشاب والخضار ، ولكن لا يرتبها حسب النظام الهجائي كما فعل في كتاب « المفردات » ، وانما تناول فيه علاج الأعضاء عضوا عضوا بطريقة مختصرة كي ينتفع به الأطباء. ويذهب « ميروف » الى ان ابن البيطار قد سطا ، في شطر كبير من معلوماته الطبية هنا ، على نتاج الادريسي والغافقي والكتاب مؤلف من عشرين فصلا تبحث في الأعشاب والعقاقير الخاصة . وله أيضا كتاب « الابانة والاعلام بما في المنهاج من‌الخلل والأوهام » ، و « شرح أدوية كتاب ديسقوريدس » ، و « الأفعال العجيبة والخواص الغريبة » .

ولم يترجم شيء من نتاجه حتى عام ١٨٤٢م ، ولعل « غيوم بوستل » (١٥١٠ — ١٥٨١) أول مستشرق عني بابن البيطار .

وقد يحسن أن نختتم هذه الكلمة بنموذج من بحثه في كتابه « المفردات » ولا بد من الاشارة الى أن القانون البريطاني للصيدلة (British Pharmaceutical Codex) لعام ١٩٦٣ (وهو المرجع الحجة ، الثقة في علم العقاقير) يعترف بطائفة كبيرة من الأعشاب والنباتات التي ضمنها ابن البيطار كتابه مثل : الأرز ، والانيسون ، وخانق الذئب ، والخروع ، والسمسم ، والصنوبر ، والزيتون ، والكزبرة ، والصبر ، واللوز ، والكافور ، والعنصل ، والليمون ، الخ .....

اليك مثلا قول ابن البيطار في الخروع (١) :

قال ديسقوريدس : هي شجرة تكون في مقدار شجرة التين ، صغيرة ، ولها ورق رقيق ، شبيه بورق الدلب ، الا انه أكبر وأشد ملاسة وسوادا ، وساقها وأغصانها مجوفة مثل القصب ، ولها ثمرة في عناقيد خشنة ، والثمرة اذا قشرت كانت شبيهة بالقراد(٢) ، ومنها يعتصر الدهن المسمى « افسقس » ، وهو دهن الخروع ، وهذا الدهن لا يستعمل في الطعام ، غير انه نافع في السرج(٣) وفي اختلاط بعض المراهم . وقال جالينوس : حب الخروع يسهل ، وفيه مع هذا شيء يجلو ، وكذا الحال في ورقه ، الا أن الورق أضعف بكثير من الحب . فأما دهنه فهو أحد وألطف من الزيت الساذج ، فهو لذلك يحلل أكثر منه . والاسهال بحب الخروع شاق صعب ، لانه يرخي المعدة ، ارخاء شديدا ويهيج الغثيان والقيء . واذا دق حب الخروع وضمد به نفى الثآليل والكلف . وورق الخروع اذا دق وخلط بسويق سكن الأورام البلغمية والحارة العارضة للعين . واذا تضمد به وحده ، أو مع الخل ، سكن أورام الثدي الوارمة في النفاس والنقرس والحمى . قالت الخوز : انه أبلغ الملينات ، يلين كل صلابة شربا وضمادا . وقال الرازي في كتاب المنصوري : حب الخروع جيد للقولنج والفالج ويلين الصلابات اذا ضمدت به . » (٤)

والقول في الكافور(٥) : قال اسحق بن عمران : الكافور يجلب من « سقالة » ومن بلاد « الزيخ » ، و « هريج » ، وأعظمه من « هريج » وهي الصين الصغرى . وهو صمغ لشجر يكون هناك ، ولونه أحمر ملمع ، وخشبه أبيض رخو يضرب الى السواد . وانمـــا يوجد في أجواف قلب الخشب في خروق فيها ممتدة مع طولها . وقد يدخل الكافور في الطيب كله ، ما خلا « الغالية » (٦) . وهو نافع للمحرورين وأصحاب الصداع الصفراوي ، اذا استنشقوا رائحته مفردا ، أو مع ماء الورد والصندل معجونا ، يقوي أعضاءهم ، وحواسهم . واذا أديم شمعه قطع الباءة ، واذا شرب كان فعله في ذلك أقوى ، ونوّم وذهب بالصداع وقطع الرعاف وحبس الدم المفرط . »

ثم يستعرض ابن البيطار ما قاله فيه العلماء من : انه يسهر ، اذا أكثر من شربه ، ويبرد الكلى والمثانة ، ويسرع بالشيب ، ويعقل البطن المستطلق من الصفراء ، ويهدىء . وهو من الأدوية القلبية ، ويمنع توسع مواضع التآكل في الأسنان اذا حسي به .

وقد اتضح لنا ان الأوصاف والمعلومات (الاستطبابات) الرئيسية التي أتى بها ابن البيطار ، صحيحة — في جوهرها — وليس أدل على ذلك من أن طائفة عظمى من الأعشاب والنباتات التي ضمنها كتابه ، قد اعترف بجدواها الطب الحديث ، ودخلت في علم العقاقير مواد ثبت صلاحها في معالجة أمراض عديدة .

---

(١) يحتوي بذر الخروع على زيت نباتي (يعصر كما يعصر السمسم ونحوه) وفي هذا الزيت مادة الـ (Ricive) التي تتميز بمفعولها في زيادة عمل الأمعاء مما يؤدي الى الاسهال . وقد اكتشف ، مؤخرا ، في هذه الحبوب مادة تدعى :(Acide Undecylinique) لها مفعول جلدي ، ولا سيما في الأمراض الناجمة عن الفطر وجدير بالذكر أن ابن البيطار قد تنبه الى تأثير الخروع على الجلد كما سيتضح من النص فيما بعد . (٢) القراد : دويبة تعلق على جلد الدواب . (٣) السرج : الشرج . (٤) لا يتحدث ابن البيطار عن الخروع الصرف ، المصفى الذي نتداوله اليوم ، ولهذا جاءت أوصافه مختلفة بعض الشيء عما نعلمه اليوم من أمره . (٥) الكافور : مادة كيميائية مصدرها — في الأصل — شجرة في اليابان وتضم هذه المادة خلاصة العطر الخاص بها ، ثم تبلور فيكون لها ذات التأثير الخاص على الجهازين الدموي والتنفسي . (٦) مخلوط من الطيب والعنبر والذرائر الممسكة .

مكة المكرمة

للشاعر محمد حسن عواد

مكة الخير ، والهدى والحفيف   والللقاءات كالسنا ، كالرفيف
يا ملاذ الايمان .. يا موطن النو   ر ، تهادى من الاله اللطيف
بلدي ، يا رؤى الطفولة يا مه   د القداسات ، يا لواء الزحوف
بلدي بالهدى وبالدين والحب ،   وبالعطف من أبر عطوف
بلدي يا صحيفة المجد من جبـ   ـريل ، من أمهات تلك الطيوف
بلدي أيها السماء على الأرض ،   اذا الارض حوربت بالعزيف (١)
كم أحلت الخريف عندي ربيعا   حيث ينهي الربيع مس الخريف
فتسنمت في جوانبك الفيح   ذرى عزة الأبي الشريف
وانطلقنا الى المجالات من وا   ديك في سبحة الجمال الشفيف

* * *

بلدي بالمنى ، وبالأمل الفواح   ينداح في فؤاد الصبي
يوم أن كنت أشتهيك مقاما   أو مباءا ، لبكرتي وعشيي
يوم أن قلت في مرابع ميلا   دي ، وقد همت باللقاء الشهي
في مهادي الوثير ، في مسقط الرأ   س ، بدرسي ، وملعبي ، ونديـي
في ربا جدة التي أطلعت شمـ   ـي ترنو اليك رني الحفي
يوم أن كنت ثم ، لكنني كنت   معنى بطيفك القدسي
قلت : يا رب أنت خولت بالأم   س لقاها لطائع وعصي
فرعتهم وقدمتهم الى العالم   رسلا الى الصراط السوي
فاحبنيها محجة وثواء   ومكانا للانطلاق الهني
فتبوأتها ، وقد سمع الله   دعائي وبارك الله ربي

* * *

مكة الأمس والحديث لذيذ   عنك ، كالوحي في حياتك رفا
انك اليوم أنت احدى المنارا   ت بها استفتح المليك وقفى
شادها بين لابتيك حصونا   للحضارات ، والخلود المصفى
وحبا المسجد الحرام اتساعا   لا يجارى ، وروعة ليس تخفى
وشأى تبعا بما ألبس البيت   حريرا ، وجيرة البيت عطفا
واصطفى ثيلك الأمين أمينا   يتولى التعمير فيك ، فأربى
ان تولاه وهو بعد «عريف»   فلقد فاح في رياضك عرفا
مكتي ، مكة المعالي التليدا   ت : أقفزي بالجديد صنفا فصنفا

(١) العزيف : صوت الجن ، ووساوس المخربين ودسائس الذين يوحون الا

كنت أم الضيوف أمس ، وهـ أنت عرين الأسود ان شئت زحفا

* * *

يا كوى المجد ، أين مزدحم النور اذا لم يكن على بطحائك
أين اطلالة الجزيرة بالاصـ ـباح ، ان لم تكن رؤى أبنائك
أين مجلى الاباء أو كبرياء الـ ـروح ، ان لم يلقحا بآبائك ؟
كانت الكبرياء جرما ، الى أن عرف الناس ما مدى كبريائك ؟
« خالد بن الوليد » في أرضك البكـ ـر ، وجبريل سابحا في سمائك
مثلاها سيادة ، وضياء وعطاء ، ويا لهول عطائك
وابن جدعان ، والأحابيش غرا والفضول ابتغوا جميل ثنائك
هم تبنوه في رباك وليدا وهم الواضعوه في أحشائك
وسرايا بني أمية تروي رحلة الصيف في الليالي الحوالك
الورى وحدهم بغيرك يمشو ن ، وتمشي فيك الورى والملائك

* * *

يا بقاع الجزيرة الفيح يا مبـ ـعث روح الحياة بين الأنام
يا مشار الكفاح في أمم الأر ض لانهاضها ، ونشر السلام
باسمها ، باسم مكة ابلغي الأيـ ـام أنا هنا مع الأيام
عصم السير في الضياء خطانا من مسير مهكع متعامي
فحيينا – بنعمة الله – أحرا را ، كراما ، نعز بالاسلام
سادة ان بغى السيادة فينا أجنبي على الصفاقة نامي
خضعا ان أتى التواضع منه قوما بالاخاء خير قيام

* * *

يا بقاع الجزيرة العربية من « أغادير » للربى اللؤلؤيه(٢)
الأصابيح ، والأماسي ، ينبضـ ـن حياة على ثراك ، شهيه
أمسيات مسحورة وأصابيـ ـح تغذي انتفاضة الحرية
كل أصبوحة تتيه بعملا ق تباهي بشأنه أمسيه
وجبال مفتونة بالرمال الـ ـميث ، بمراحة الظباء الأبيه
يسرح الذئب في مساهبها الدهـ ـم ، فتهفو القطاة والأرويه
كبري ، كبري اذا الاستجابا ت تواترن بكرة وعشيه
وتولي قيادة كل فتاة أو فتى قد وعى المعاني السريه

ـ من البشر . (٢) هي ربا جزائر اللؤلؤ في الخليج العربي الشرقي..

دراسات نقية :

بقلم الدكتور زكريا ابراهيم

الفنان بين العقل والخيال

قد يكون من الحديث المعاد أن نقول ان الفن في جوهره لغة رمزية ، وكل لغة انما هي أولا وبالذات وسيلة من وسائل الاتصال بين الناس . ونحن نعرف كيف ذهب « تولستوي » — منذ أكثر من نصف قرن من الزمان — الى أن الانسان ينقل أفكاره الى الآخرين عن طريق الكلام ، بينما هو ينقل اليهم انفعالاته وعواطفه عن طريق الفن . فلم يكن الفن في نظر هذا الفيلسوف المفكر سوى أداة تواصل بين الأفراد ، يتحقق عن طريقها ضرب من « التناغم الوجداني » فيما بين بني البشر ، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وحضاراتهم . والواقع أن الكثير من فلاسفة الجمال قد تصوّروا الفن على أنه لغة العاطفة ، والخيال والحالات الوجدانية ، والمزاج الشخصي ، والمواقف الانفعالية . وربما كان السبب في حرص هؤلاء الباحثين على ربط الفن بالعاطفة ، ما لاحظوه من وجود علاقة وثيقة تجمع بين الابداع الفني من جهة ، ورقة الحس أو رهافة العاطفة من جهة أخرى . وليس من شك في أن ما يميز الفن عن العلم انما هو على وجه التحديد هذا الدور المهم الذي تلعبه الحواس في دائرة الخبرة الجمالية كما هي الحال مثلا في الموسيقى والتصوير وشتى فنون التزيين ، فضلا عما في الفن من اعتماد على الخيال ، كما هي الحال مثلا في فن الأدب وغيره . وكما ان الفنان في حاجة الى الكثير من الخيال ، حتى يرى الواقع في صورة مبتكرة تخالف ما تقدمه له التجربة الحسية العادية ، فان المتذوق أيضا في حاجة الى شيء غير قليل من الخيال ، حتى يدرك تلك العلاقات الجديدة التي يقدمها له الفنان في عمله الفني الأصيل . ومعنى هذا انه لا بد لشتى المنبهات الجمالية من أن تمثل أمام الحس أو الحواس ، حتى يكون في وسعها أن تستثير لدينا استجابات التأويل أو التخيل أو التأمل أو الانفعـال . فالرواية مثلا تخترق العينين لكي تتجه نحو الخيال ، في حين أن المقطوعة الموسيقية تتجه مباشرة نحو الادراك الحسي . ولكن ليس هناك ، عمليا ، أي ادراك حسي بدون استثارة للذكريـات ، واستحضار لبعض الصور الذهنية المختزنة .

وربما كان في استطاعتنا أن نوسع من معنى الفن ، فنقول انه اسلوب خاص في نقل تجربتنا الفردية والاجتماعية الى الآخرين ، بما في ذلك أفكارنا ، وميولنا ، وعاداتنا ، ومفاهيمنا ، وارادتنا ، وكل ما يندرج تحت مفهوم « التراث الحضاري » بصفة عامة . والحق أن الانفعال والعاطفة ليسا الا مظهرين من مظاهر الخبرة الفنية ، فليس ما يوجب استبعاد كل عنصر فكري من دائرة النشاط الفني . ولو اننا فهمنا التفكير — كما يقول « جون ديوي » — على أنه أولا وبالذات « ادراك العلاقات » ، لكان في وسعنا أن نقول أن الجهد الفني لا يخلو من تفكير . فالفنان — مثله في ذلك كمثل الباحث العلمي سواء بسواء — يفكر ، ويتأمل ، ويتدبّر ، ويحاول الربط بين ما حققه وما سوف يحققه ، ويسعى دائما نحو اقامة ضرب من التكامل أو التنظيم بين أجزاء عمله . ويضرب لنا « ديوي » مثلا فيقول : « ان المصوّر لهو في حاجة دائما الى الالمام — بطريقة واعية — بتأثير كل لمسة من لمسات ريشته والا فانه لن يكون على علم تام بما يعمل ، وبالتالي فانه لن يكون لديـه أي شعور بالاتجاه الذي يمضي فيه » . هذا الى أنه لا بد للمصور من ان يرى كل علاقة جزئية قائمة بين عناصر عمله ، وبين ذلك « الكل » الذي يهدف الى تحقيقه . ولا شك في أن ادراك أمثال هذه العلاقات انما هو التفكير بعينه ، ان لم يكن أدق نوع من أنواع التفكير . وكل رأي يتجاهل الدور الضروري الذي يقوم به «العقل» في انتاج الأعمال الفنية ، انما يقوم على أساس التوحيد بين التفكير من جهة ، واستخدام نوع خاص من المواد في عملية النشاط الذهني ، ألا وهي الكلمات أو العلامات اللفظية من جهة أخرى ولكن ليس ما يمنع من أن يكون التفكير — كما يقول « ديوي » — بلغة العلاقات القائمة بين « الكيفيات » (Qualities) . ولماذا لا نقول أن التفكير الفني أصعب بكثير من التفكير العلمي ، لأنه تفكير بلغة العلاقات القائمة بين الكيفيات ، في حين أن التفكير العلمي تفكير بلغة الرموز ، سواء أكانت لفظية أم رياضية ؟ ولما كان من السهل التعامل بالكلمات ، والتصرف فيها بطرق آلية ، فانه لمن المحتمل أن يتطلب انتاج العمل الفني الأصيل من التفكير والتأمل والنشاط الذهني أكثر مما يتطلبه الجانب الأكبر مما نسميه في العادة باسم « التفكير العلمي » .

اننا — بطبيعة الحال — لا ننكر دور المخيلة ، والعاطفة ، والحرارة الوجدانية ، في كل نشاط فني ، ولكننا نميل الى الظن بأنه ليس يكفي أن يكون الفنان مرهف الحس ، مشبوب العاطفة حتى تجيء أعماله الفنية عامرة بالشخصية والاصالة والجدة . فالفن ليس مجرد عاطفة أو انفعال أو خيال . بل هو أيضا نشاط ذهني ، وصنعة عملية ، ومهارة تكنيكية . ولعل هذا ما قصد اليـه المثّال الفرنسي الكبير أوجست رودان « Rodin » حينما قال : « حقا ان الفن هو

العاطفة . ولكن من المؤكد انه بدون علم الاحجام والنسب والألوان ، وبدون المهارة اليدوية ، لا بد من أن تظل العاطفة القوية الجياشة ، عاجزة حائرة مشلولة . »

صحيح ان الكثيرين من علماء الجمال قد ربطوا الفن بالحلم ، فقالوا ان كل مهمة الفن انما هي العمل على خلق « عالم خيالي » تكون وظيفته الأولى أن يجيء مخالفا (بوجه ما من الوجوه) لهذا العالم الواقعي الذي نحيا في كنفه . ولكننا لو اقتصرنا على ربط الفن بالخيال ، لكان في هذا الربط اعقال تام لما في النشاط الفني من مقدرة ذهنية ، وفاعلية بنائية ، ومهارة تكنيكية . والحق أن تاريخ الفن شاهد بأن الخيال وحده لا يكوّن جوهر النشاط الفني ، وأن العاطفة وحدها لا تكفي لتفسير العمل الفني . وحسبنا أن نعاود النظر الى سير الفنانين — بما فيها من جهد وصراع ومحاولات مستمرة — لكي نتحقق من أن الفن عندهم لم يكن مجرد وجدان وعاطفة ، أو حلم وخيال ، وانما كان أيضا تفكيرا وتأملا ، وانتاجا ومهارة . ومعنى هذا — بعبارة أخرى — أنه لكي يكون هناك « فن » ، فلا بد من أن تتوافر لدى المرء قدرة ذهنية على تنظيم الأحلام ، ومهارة عملية يستطيع معها بعث تلك الأحلام في جسم معين هو ما نسميه « الأثر الفني » . وسواء ذهبنا الى أن الفن احساس وعاطفة ، أو قررنا أنه حلم وخيال ، أو زعمنا أنه مجرد تعبير عن الماهيات ، فاننا لن نستطيع أن ننكر في جميع هذه الحالات أنه لا بد من أن يقترن الفن بنشاط تركيبي ابداعي يكون هو الأصل في كل عمل فني .

حقا ان كل عمل فني يستلزم شعورا عميقا وعاطفة قوية ، ولكن من الواجب أيضا أن يكون هذا الشعور واضحا ، وان تكون تلك العاطفة متمايزة ، والا فانه لن يكون ثمة « أثر فني » . ومعنى هذا انه لا يمكن أن يقوم فن بدون التماسك ، والترابط ، والصياغة . ولعل هذا ما عبر عنه «أندريه مالرو» (Malrawx) حينما كتب يقول : « ان الفن ليس أحلاما ، وانما هو امتلاك لناصية الأحلام » . ومهما كان من قيمة الشحنات الوجدانية في نفس الفنان ، فانه من المؤكد انه لن يكون في وسعنا أن نحدد نوع نشاطه الفني بالاقتصار على النظر الى مزاجه ، أو حساسيته ، أو وجدانه ، أو الهامه ، أو خياله ... الخ . والحق أن الكثير من الفنانين لم يكونوا يتمتعون بخيال أكبر مما يتمتع به بعض العامة من الناس ، كما انهم لم يكونوا يملكون من العاطفة أكثر مما يملكه بعض الانفعاليين أو العاطفيين من سواء الناس . ومن هنا فقد لا نجانب الصواب اذا قلنا ان الفن جهد وتأمل ، أكثر مما هو حلم وتخيل .

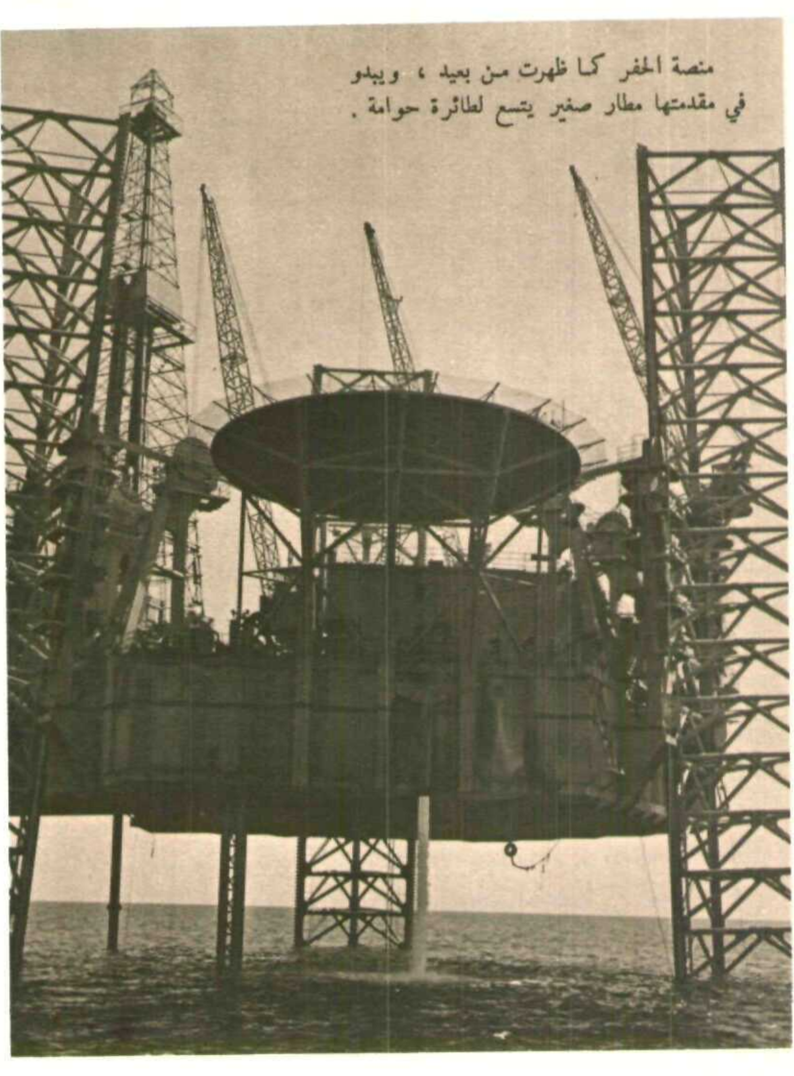
ان الكثيرين ليظنون أن أهل الفلسفة هم الذين ينسبون الى النشاط الفني مثل هذا الطابع العقلي ، في حين أن الفن ليس من الفلسفة في شيء ، كما ان الفنان أبعد ما يكون عن الفيلسوف أو المفكر . ولكن الفلاسفة لم يكونوا هم أول من فطن الى دور العقل في النشاط الفني ، بل لقد سبقهم الى ذلك أهل الفن أنفسهم . فهذا واحدا منهم — مثلا — ألا وهو « رودان » ، يتحدث عن دور الفكر في الفن فيقول : « ان الفن هو التأمل ، هو متعة العقل الذي ينفذ الى صميم الطبيعة ويستكشف ما فيها من عقل يبعث فيها الحياة . انه فرحة الذكاء البشري حين ينفذ بأبصاره الى أعماق الكون ، لكي يعيد تشكيله مرسلا عليه أضواء من الشعور . « فليس الفن اذن — في نظر اصحابه — مجرد تعبير عن الخيال أو الوجدان أو العاطفة ، وانما هو لغة نوعية خاصة تعبر عن حاجة الانسان الى الابتكار والابداع ، من أجل التعبير عن نفسه بالطريقة التي تجعله في متناول الآخرين . ولعل هذا هو السبب في أن الفلاسفة قد وجدوا دائما لدى الفنانين ايحاءات فكرية مهمة كانت لها أصداؤها في صميم مذاهبهم الميتافيزيقية .

ولو أننا ألقينا نظرة سريعة على أهم الاتجاهات الحديثة في مضمار فلسفة الفن ، لوجدنا أن هناك اجماعا — أو شبه اجماع — على القول بأن الفن ليس مجرد تكرار لحقيقة جاهزة ، أو ترديد لواقع قائم من ذي قبل ، بل هو اكتشاف لحقيقة جديدة ، وتعبير عنها بلغة رمزية . وقد فطن الى هذه الحقيقة كبار الفنانين في كل زمان ومكان ، فكان الفن في نظرهم مجرد طريقة لتعليمنا كيف ندرك العالم المرئي . ولعل هذا ما عناه « ليوناردو دافنشي » حينما قال : «ان المصوّر والمثّال هما المعلّمان اللذان يكشفان لنا عن عظمة العالم المرئي » . والحق ان ادراك الأشكال الخالصة للأشياء ، ليس منحة طبيعية أو هبة فطرية ، بل هو درس نتلقاه على أيدي كبار الفنانين . وأبسط دليل على ذلك أننا ربما نكون قد التقينا بموضوع ما في تجربتنا الحسية العادية آلاف المرات دون أن نكون قد رأينا شكله أو عرفنا صورته . ومن هنا فاننا قد نقع في حيرة كبرى لو طلب الينا أن نصف خصائص هذا الموضوع ، أو أن نحدّد شكله المرئي الخالص . والفن هو الذي يجيء فيسد هذا النقص ، لأنه ينقلنا الى عالم الأشكال الخالصة أو الصور النقية ، بعد أن كنا مستغرقين في عالم التحليل التجريبي للموضوعات الحسية ، أو الدراسة الموضوعية للآثار الحسية . ولم يجانب جوته « Goethe » الصواب حينما قال أن الفن لا يزعم لنفسه القدرة على الكشف عن الأعماق الميتافيزيقية للأشياء ، بل هو يقتصر على التمسك بالسطح الخارجي للظواهر الطبيعية . ولكن هذا السطح الخارجي ، مع ذلك ، ليس حقيقة مباشرة نلتقي بها منذ البداية في صميم تجربتنا العادية ، بل نحن في حاجة الى الكشف عنه في أعمال كبار الفنانين ، حتى ندركه ونقف على حقيقته . ولكن المهم أن الفن معرفة بأشكال الأشياء ، فهو نشاط ادراكي لا يخلو من تشكيل وتنظيم وتركيب وبناء ، وصياغة . ولعل هذا ما حدا بالفيلسوف الالماني آرنست كاسّيرر « Cassirer » الى القول بأنه لا بد لنا من أن ننفي عن الفن كل طابع لا عقلي .

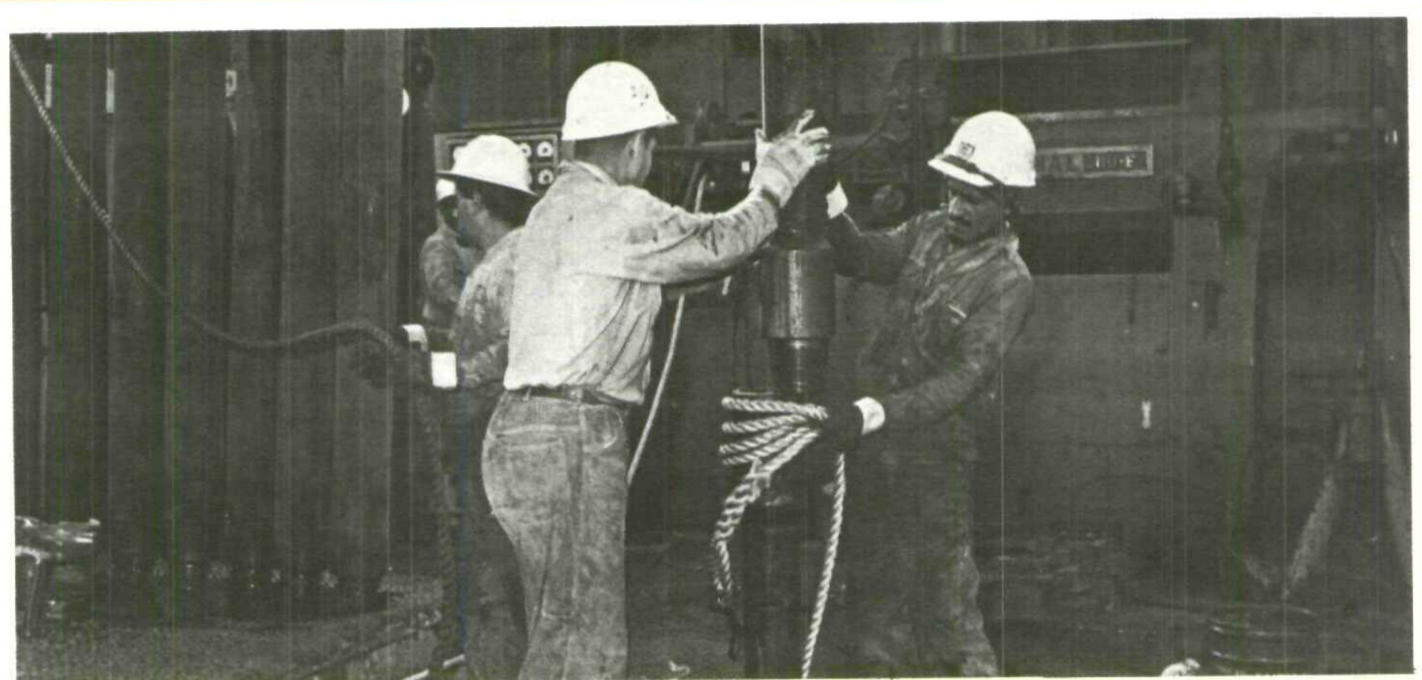
وأخيرا قد يكون في وسعنا أن نقول أن التعبير الفني لغة رمزية أصيلة تعيننا على الكشف عن بعض الجوانب الخفية من تجربتنا الحية ، مما لا تنجح التصورات العقلية في ازاحة النقاب عنه . ولعل هذا ما حدا بالفيلسوف الألماني المعاصر « كارل يسبرز » (Jaspers) الى القول بأننا لا نكوّن خبرة صحيحة عن الطبيعة والانسان ، اللهم الا حين نلتقي بهما في صميم ما هيّتهما على نحو ما تكشفه فنون النحت والرسم والتصوير . فليس الفن اذن على النقيض تماما من كل نشاط ذهني ، بل هو في الحقيقة نشاط ذهني أصيل مستقل تماما عن كل ما عداه من ضروب النشاط الذهني الأخرى . وهكذا ننتهي الى القول بأن الفن ليس مجرد نشاط تضطلع به المخيلة وحدها بل هو جهد ذهني يوصلنا الى ضرب من المعرفة الادراكية للعالم الخارجي . ولو لم يكن الفن لغة رمزية تكشف لنا عن أشكال العالم وصور الحياة ، لما قدّر له أن يشغل كل هذه المكانة في تاريخ الحضارة البشرية .

جولة على متن منصة الحفر البحرية "أرامكو ٢"





منصة الحفر كما ظهرت من بعيد ، ويبدو في مقدمتها مطار صغير يتسع لطائرة حوامة .



يضاف الى مثقب الحفر وصلة اثر أخرى .

على قوائم ثلاث من الحديد الصلب ، تقف شامخة في مياه الخليج العربي منصة الحفر البحرية المتنقلة التي تم بناؤها عام ١٩٦٦ ، والتي يعلو متنها برج للحفر ، وثلاث رافعات ، ومضخات ، وضاغطات طين واسمنت ، وغرفة مراقبة ، وعشرة مولدات للطاقة الكهربائية ، ومكاتب للموظفين ، وغرف للنوم وقاعة للطعام ، ومطبخ ، ومستودعات للأطعمة واللحوم ، وخزانات للمياه .

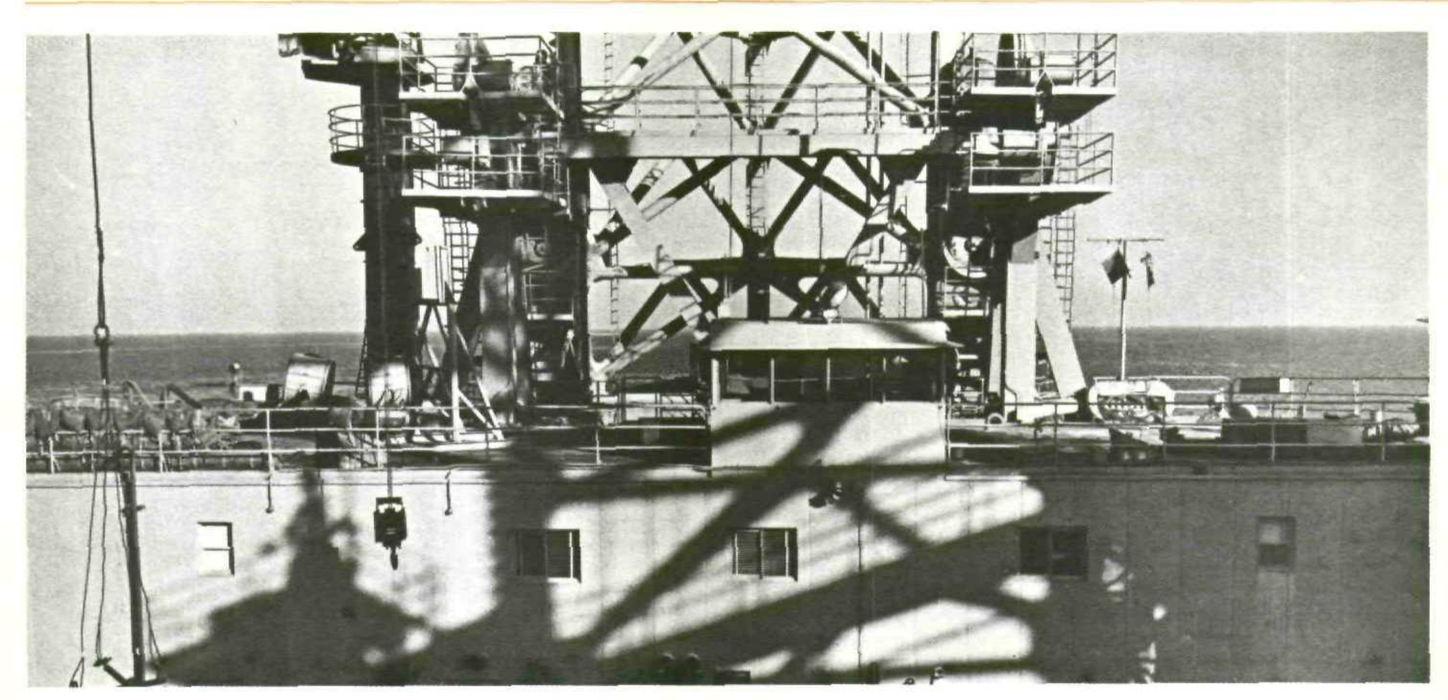
منذ وصول منصة الحفر المتنقلة الى مياه الخليج العربي ومباشرتها أعمال الحفر فيه ، والشوق يخالجني لرؤيتها والتجول على متنها ولا سيما وقد سمعت عن ضخامة متنها الشيء الكثير . اخذت أتحين الفرصة حتى واتت ، وكان ذلك في يوم صفت سماؤه وسكن هواؤه. فاستقل كاتب هذه السطور ومصور القافلة سيارة صغيرة في طريقهما الى منطقة السفانية ، التي تبعد عن الظهران حوالي ٣٣٧ كيلومترا شمالا . ومع صغر رقعة هذه المنطقة إلا أن لها أهمية كبرى كمركز للانتاج ، فهي تحتضن أكبر حقل مغمور للزيت في العالم يقدر انتاجه حاليا بنحو مليون برميل في اليوم . ولما كان من المتوقع رفع الطاقة على الانتاج من هذا الحقل ، روئي أنه من الضروري بمكان حفر المزيد من آبار الزيت في هذا الحقل ، الأمر الذي اضطرها الى استحضار منصة الحفر التي نحن بصددها عبر هذه السطور .

وبعد مسير نحو خمس ساعات بالسيارة من الظهران وصلنا فرضة السفانية ، وهناك طلبنا من مراقب الفرضة قاربا يوصلنا الى المكان الذي تعمل فيه منصة الحفر . ولحسن حظنا كان ذلك الوقت موعد تبديل نوبة عمال المنصة ، أي موعد ذهاب فريق منهم الى منازلهم لقضاء فترة استراحتهم بين ذويهم ، وموعد رجوع الفريق الآخر لاستئناف عملهم بعزم ونشاط جديدين .

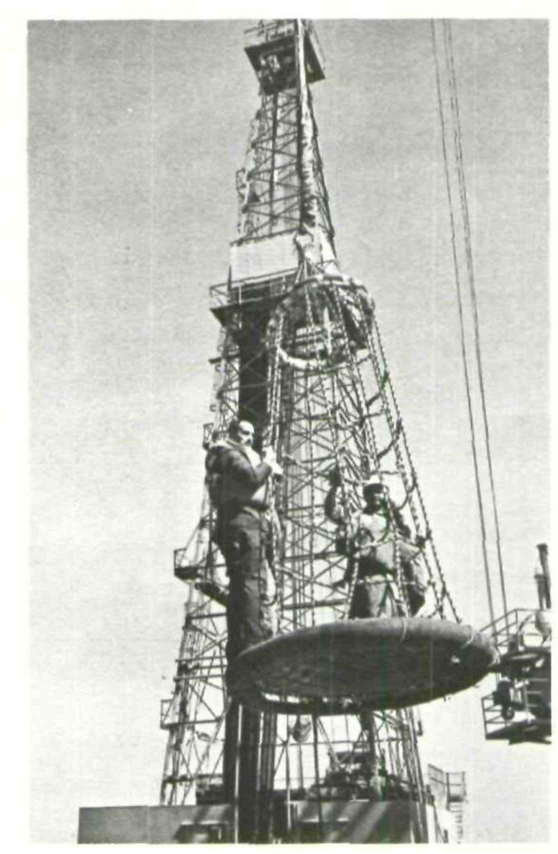
وما أن وصلت الطائرة المقلة لعمال النوبة الأخرى ، أقلّهم القارب وأقلّنا ، وراح يشق الماء في طريقه الى منصة الحفر . بيد أن شوقي الى روئية المنصة نفسها سرعان ما تبدد بعد أن علمت ممن معي أنها تعمل في مكان يبعد عن الشاطيء حوالي خمس ساعات . وهنا أخذت أتناسى الوقت ، واطرد السأم بالتحدث الى الزملاء تارة وبالنظر الى الأمواج تارة أخرى . ولكن عبثا حاولت فالرحلة ما زالت طويلة مملة . وحانت مني التفاتة الى من حولي ، فوجدت أن معظمهم قد استسلم للكرى فقلت ربما كان هذا أنجع دواء لانقضاء الوقت بسرعة . فألقيت برأسي الى الوراء وأغمضت عيني على حلم جميل ، أفقت بعده على حركة حولي ، فعلمت ممن صحا أننا على وشك الوصول ، وهناك أخذت أرقب منصة الحفر عن كثب مأخوذا بضخامتها . بيد أن فكرة الصعود الى المنصة شغلتني موقتا عن التفكير في ضخامتها . فهي تعلو عن سطح الماء حوالي ١٥ مترا ، وليس من وسيلة للصعود اليها سوى رافعة تحمل في شوكتها مركبة صغيرة من تصميم العمال وصنعهم ، وهي عبارة عن قاعدة مستديرة يبلغ محيطها حوالي أربعة أمتار ، مكسوة بقماش من الكتان المتين ومحشوة بالاسفنج الاصطناعي . وحول القاعدة أنبوب معدني ربطت به شبكة من الحبال الغليظة التي تجتمع في أعلاه مكونة شكل مخروط صغير . فالموظفون يقفون على جوانب هذه المركبة ، ويتشبثون جيدا بالحبال ، ريثما تحملهم الرافعة وتلقي بهم على متن صندل الحفر .

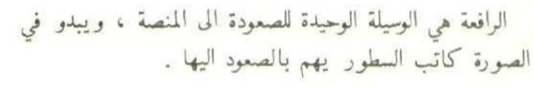
وصعدت أول دفعة من الموظفين وأنا بين تهيب واقدام ، ثم صعدت الدفعة الثانية ، والثالثة حتى جاء دوري في النهاية ولم يعد هنالك مجال للتردد والتهيب ، فضبطت أعصابي وتشبثت جيدا بالحبال وقلت على الله الاتكال .

لقد استغرقت رحلتي الى المنصة النهار برمته ، وكانت الشمس ساعة وصولنا قد



جناح السكن في المنصة ، وتعلوه غرفة صغيرة للمراقبة .




الرافعة هي الوسيلة الوحيدة للصعودة الى المنصة ، ويبدو في الصورة كاتب السطور يهم بالصعود اليها .

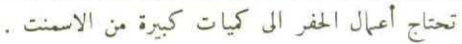

برج الحفر كما يبدو من الداخل .

أخذت تجمع آخر خيوطها الذهبية . ولم يكن هنالك ما يمكن رؤيته في الخارج ، فتركنا كل شيء لليوم الثاني واكتفينا بمشاهدة جناح السكن وتسقط أخبار الموظفين . واستقبلنا أول ما استقبلنا ملاحظ صندل الحفر وعرّفنا بالمسؤول عن خدمات السكن ، فتولى الأخير امر ارشادنا الى الغرفة التي أعدت لنا . ودخلنا باب جناح السكن ، وكم كانت دهشتنا كبيرة عندما قادنا الى قاعة رحبة طولها حوالي عشرة أمتار وعرضها حوالي ستة أمتار ، جدرانها وسقفها من « الفورمايكا » البيضاء . انها قاعة الطعام ، وفي الوقت نفسه قاعة الاستراحة وتناولنا المرطبات . من هذه القاعة توجهنا الى غرف النوم البالغ عددها ٢٠ غرفة ، تتسع الواحدة منها لأربعة موظفين باستثناء غرفتين تتسع كل منهما لموظفين اثنين فقط وهكذا تستوعب غرف السكن في الصندل ٧٦ موظفا . ودخلنا الغرفة المخصصة لنا وبعداستراحة قليلة توجهنا الى قاعة الطعام لتناول طعام العشاء . وهنالك أخذنا نتجاذب أطراف الحديث ، عن العمل تارة وعن الحياة على متن منصة الحفر تارة أخرى ، وقد وجهت الى بعض الموظفين السؤال التالي : كيف تقضون أوقات فراغكم ، وهل هنالك هوايات تمارسونها ؟ فأجابوا بأنهم يمارسون بعض ألعاب التسلية ولا سيما صيد السمك في أوقات الفراغ . هذا وتضم قاعة الطعام والاستراحة في صندل الحفر جهازي راديو وتلفزيون ، وكذلك آلة لعرض الأفلام التثقيفية والترفيهية بالاضافة الى مكتبة صغيرة تضم مجموعة لا بأس بها من الكتب والمجلات والصحف . هذه الوسائل وغيرها تساعد الموظفين ، ولا شك ، على ازجاء وقت الفراغ فيما هو ممتع ومفيد .

وهكذا يبقى العمل مستمرا ليل نهار ، يتعاقبه الموظفون على نوبتين في اليوم . ومن حسنات العمل على متن منصة الحفر ، كما أخبرني بعض الزملاء ، انهم يعملون أربعة عشر يوما متواصلة ، ويرتاحون سبعة أيام . وبذلك ، وان نالهم قليل من التعب فانهم يستمتعون بأسبوع كامل في العطلة بين اهليهم وذويهم . وفي غمرة الحديث مع الزملاء نسينا الوقت ، واذا بها الساعة التاسعة ليلا وهو موعد عرض أحد الأفلام التثقيفية الذي لا يجري عرضه الا إذا حاز على موافقة الأكثرية . وأجمع الرأي على مشاهدة الفيلم ، وبدأ العرض . وبانتهاء العرض كان الكرى قد أخذ يتسلل الى الأجفان ، فانفرط عقد السهرة وذهب كل فريق في طريق .

وفي صباح اليوم التالي رافقنا الموظف المسؤول عن خدمات السكن في جولة ضمن مرافق الطعام والطبخ الى المستودعات والثلاجات حيث كانت غاية في النظافة والترتيب ، ولدى سؤال الموظف المسؤول عن كيفية تأمين المواد الغذائية أجاب : نطلب ما نحتاجه مرة كل أسبوعين من الظهران ، فتحمله الشاحنات الى السفانية حيث تتولى نقله الينا قوارب خاصة وتستخدم أيضا في نقل الأمتعة والركاب . فقلت : وهل الماء ينقل أيضا بالقوارب من السفانية ؟ فأجاب : لا ، وانما تحمله الينا عند الطلب باخرة كبيرة من رأس تنورة ، وعند وصوله يفرغ الماء في خزانات خاصة حيث يجري توزيعه على مختلف مرافق المنصة . وبالاضافة الى الماء تحمل الباخرة أيضا




تحتاج أعمال الحفر الى كميات كبيرة من الاسمنت .



تفحص لزوجة الطين بين حين وآخر .

قطع الغيار والمعدات الضرورية والكفيلة باستمرار اعمال الحفر التي لا تتوقف ليل نهار .

وبانتهاء جولتي في مرافق الطعام والمخازن التابعة للمنصة ، كان الموعد قد أزف لمقابلة ملاحظ أعمال الحفر ، واكمال تجوالي معه على متن المنصة . فتوجهت الى مكتبه حيث جلست قليلا ريثما أنهى ما كان لديه من أعمال . وفيما هو منهمك في شغله ، كنت أنا منشغلا في النظر الى الخرائط العديدة التي اعتلت جدران المكتب وفي مشاهدة أجهزة الاتصال المختلفة . ويضم مكتب الملاحظ جهاز استقبال وارسال لاسلكيا ، وجهاز اتصال داخلي ولوحات بيانية تتعلق بتيسير دفة العمل . وبعد ان فرغ الملاحظ من مهمته رافقني الى متن المنصة ، وأخذنا معا نتأمل ضخامة هذه المنشأة والجهود التي بذلت في بنائها . وصاحب مشاهداتي شرح واف عن مراحل صنع المنصة البحرية المتنقلة ، وميزاتها وعن كيفية نقلها وارسائها ووقوفها على قوائمها . وفيما يلي بعض ما استطعت نقله من الشرح والمشاهدات :

قام بصنع هذه المنصة البالغ وزنها ٦٨٠٠ طن ، شركة « لي تورنيو » الأمريكية ، ثم تولى مهمة سحبها الى رأس تنورة قارب جر تابع لشركة « ل . سي سمث » الأمريكية تتراوح قوته بين (٨٠٠) و (١٠٠٠) حصان آلي . وهذه المنصة هي من أحدث الأجهزة التي تستخدمها أرامكو في أعمال الحفر في المناطق المغمورة بالمياه . وقد تم بناؤها عام ١٩٦٦ وبلغت تكاليفها ٣١٥٠٠٠٠٠ ريال سعودي (٧٠٠٠٠٠٠ دولار) . وقد بدأت بأعمال الحفر منذ أشهر قليلة . ويبلغ طول هذه المنصة دون القوائم حوالي ٥٢ مترا ، وعرضها نحو ٥٠ مترا ، وارتفاعها حوالي ١٥ مترا . وقد صممت قوائمها الثلاث المنشورية الشكل بحيث يمكن تثبيتها في مياه يصل عمقها الى نحو ٦٢ مترا . ويبلغ محيط كل واحدة منها نحو ١٠ أمتار ، يجري تثبيتها في قاع البحر على أسطوانات خاصة متصلة بها ، قطر كل منها حوالي ٣،٥ أمتار وارتفاعها نحو ١١ مترا . وتقف المنصة على هذه القوائم أثناء عملية الحفر ، وتكون عادة مرتفعة عن سطح الماء حوالي ١٥ مترا ، وهذا بالطبع يزيدها قوة وثباتا دون أن تتأثر بحركة الأمواج . أما انتقال المنصة من مكان الى آخر ، وارساؤها في الموقع المعين وانزال قوائمها ، فدونك كيف يتم ذلك : لدى الانتهاء من حفر البئر ، ترفع قوائم المنصة آليا على عجلات خاصة ، لتصبح في النهاية عائمة على وجه الماء ، ثم تأتي قوارب الجر وتسحبها الى المكان الجديد المحدد . ويعتمد سرعة انتقالها من مكان الى آخر على عدد قوارب الجر المستخدمة التي يتراوح عددها عادة بين أربعة وستة قوارب . ولدى وصول المنصة وتثبيتها في المكان المنشود ، تتدلى مراسيها الأربعة التي يبلغ وزن كل منها نحو ٦٨٢٠ كيلوغراما . وهكذا وبالتعاون مع قوارب الجر ، تبقى المنصة ثابتة في مكانها ريثما تثبت قوائمها . وعملية تثبيت قوائم المنصة في قعر البحر تستدعي ملء خزاناتها البالغ عددها ٦١ خزانا بالماء ، سعة الواحد منها ، ٥٠٠٠٠٠٠ جالون . فثقل المنصة نفسها وثقل ما تحمله من معدات بالاضافة الى

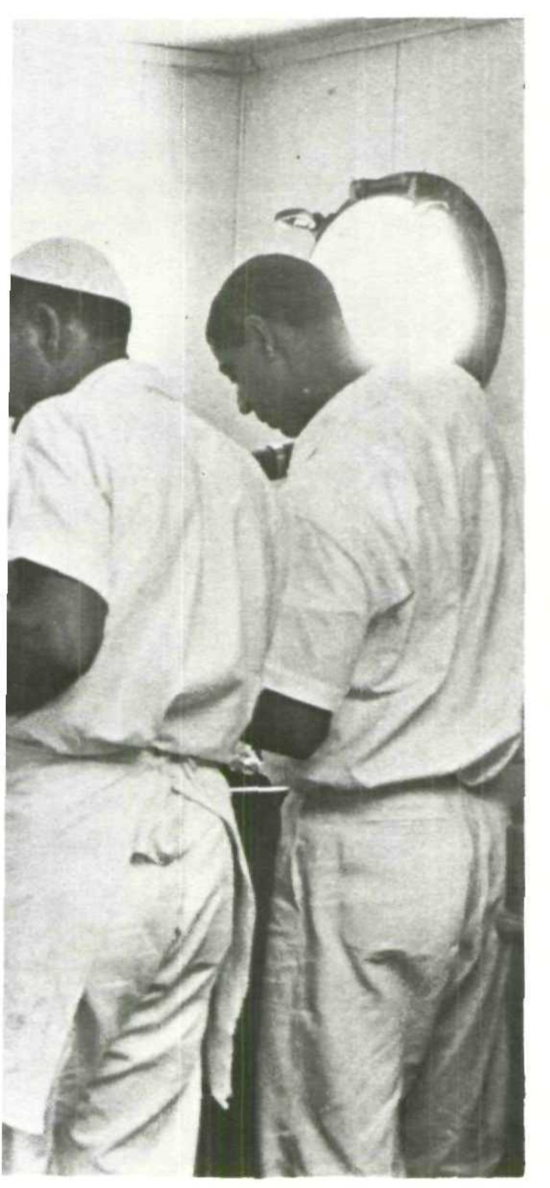
ثقل الخزانات المملوءة بالماء كل ذلك يساعد على غرس أقدام المنصة في قاع البحر ، فتقف منتصبة كالطود ، ساخرة من هجمات الأمواج وتعسفها بينما تبدأ الاستعدادات الأخرى من جديد لعمليات الحفر المقررة .

أما بالنسبة لبرج الحفر التابع للمنصة البحرية فقد صمم بطريقة تجعل من السهل تحريكه مسافة ثلاثة أمتار في مختلف الاتجاهات وبذلك يتسنى حفر ست آبار متجاورة ، اذا تقرر ذلك ، دون ان تتحرك المنصة من مكانها ، وفي هذا توفير كبير للوقت . ويتفاوت عمق الآبار التي تقوم المنصة بحفرها تبعا لاختلاف المناطق الجيولوجية التي يحتمل وجود الزيت فيها . وهكذا تتم عملية الحفر وفق التعليمات الواردة من مهندسي البترول .

وأثناء الحفر ، يأخذ الحفارون باضافة وصلات الى المثقب ، الواحدة تلو الأخرى مستخدمين في تركيبها احدى الرافعات الثلاث الموجودة على المنصة والتي تبلغ طاقة كل منها ٢٥ طنا ، ريثما يفرغون من مهمة الحفر . بيد أن جميع الأمور التي ذكرت لا يلقي الحفار اليها بالا لأنها بالنسبة اليه أعمال « روتينية » سهلة . ولكن الرياح تجري دائما بما لا تشتهي السفن ، فعلى حين غرة تعترض الحفار مشكلة طارئة تضطره الى التوقف عن الاستمرار في عمليات الحفر ، واخراج جميع وصلات المثقب لاستقصاء الأسباب . ومن المشكلات التي يواجهها الحفارون مثلا وصول المثقب الى طبقة مياه جوفية محصورة تحت ضغط مرتفع ، فتنطلق المياه اذ ذاك الى أعلى على شكل نافورة تنثر الرذاذ على



مخازن المنصة مليئة باللحوم والخضار والأطعمة المعلبة والطازجة .



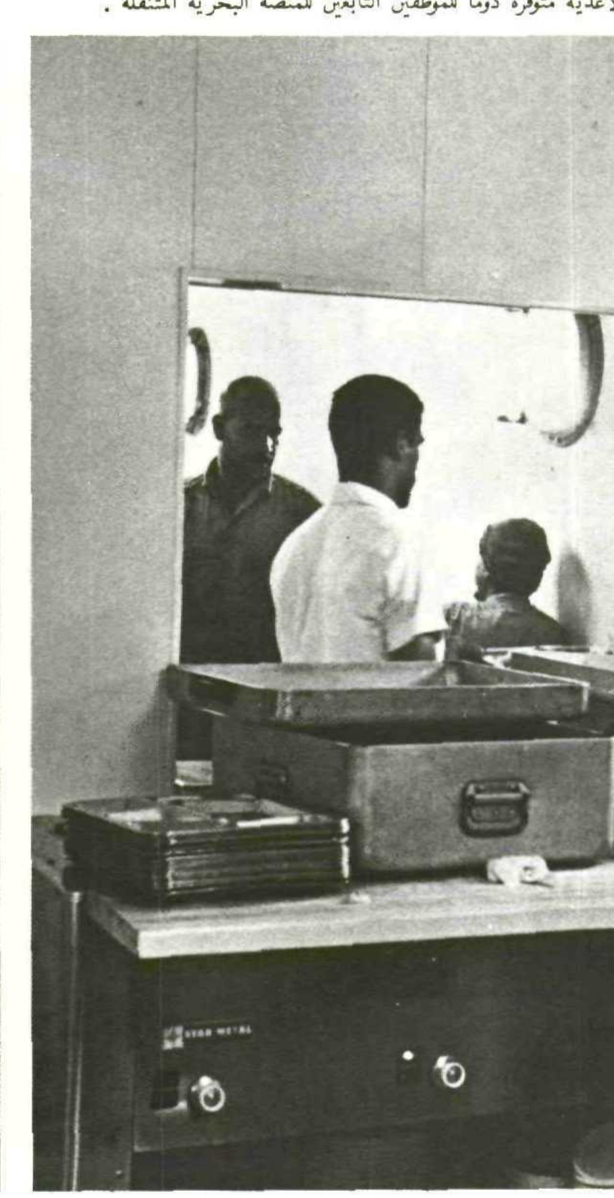
كل ما حولها . وتبقى المياه على تدفقها حتى يتمكن العمال من التحكم فيها وسد فوهة أنبوب الحفر . وهنا سألت الملاحظ : وفي مثل هذه الحالة ما الذي تقومون بفعله فأجاب : « نقوم اولا بسد فوهة أنبوب الحفر كما رأيت ثم نضخ كميةمن الطين في الحفرة ، ولدينا لهذه الغاية مضختان .وقد يحدث أحيانا أن يغور الماء أو الطين المستخدمان في الحفر ضمن احدى الطبقات الجوفية ، فيضطر الحفارون عندئذ الى ايقاف عملية الحفر وضخ كميات من الطين وبعض المواد الكيماوية الأخرى لسد الفراغ ، فإن لم يستطيعوا ذلك أصبح لا مفر من اخراج وصلات المثقب وضخ كمية من الاسمنت في الحفرة ، ثم اعادة تركيب الوصلات وانزالها لمواصلة عملية الحفـــر .

هذا وقد كان آخر مطافنا حجرة توليد الطاقة الكهربائية ، حيث بدت لنا عشرة مولدات ضخمة طاقة كل منها ١٠٠٠ حصان ميكانيكي، ستة منها لتوليد الطاقة الضرورية لتشغيل المعدات والأجهزة الخاصة بالحفر . أمـــا الأربعة الباقية فهي لتأمين الطاقة الكهربائية اللازمة لرفع قوائم المنصة وانارة مرافق السكن .

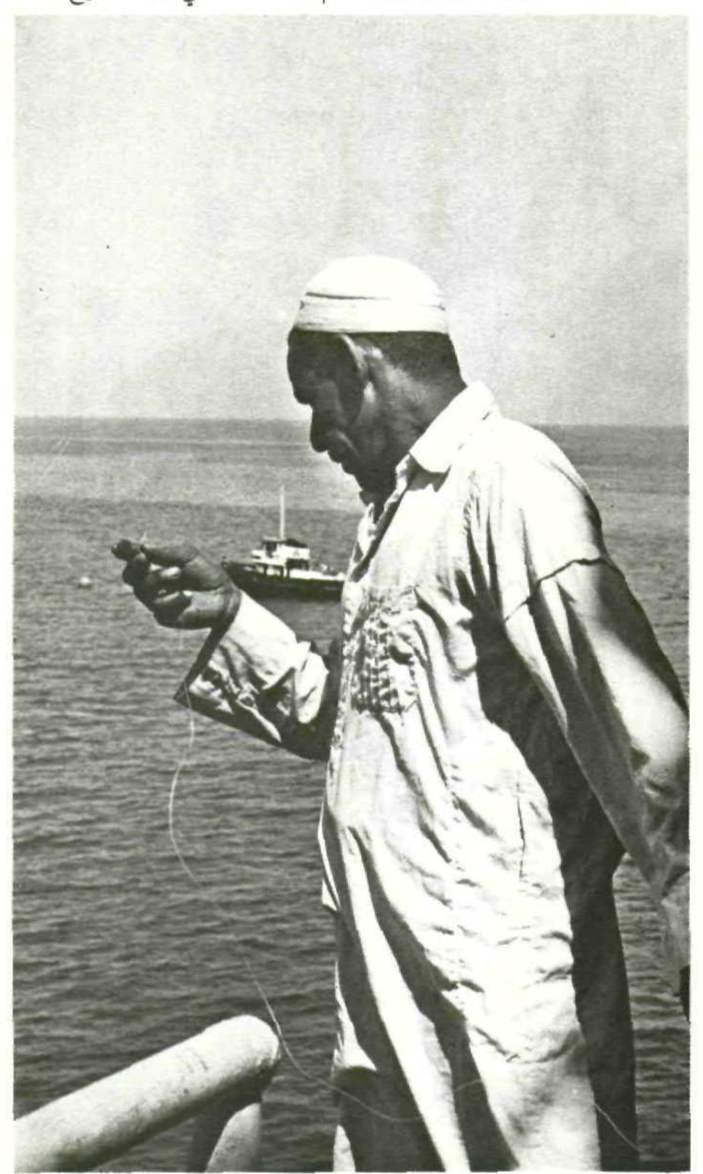
وبانتهاء الجولة على متن المنصة كانت الساعة قد قاربت الواحدة ظهرا ، فشكرنا الملاحظ على شرحه الوافي ، واستودعناه الله وعدنا الى حجرتنا استعدادا للإياب الى الظهران .

عصام العماد

مختلف أنواع الأغذية متوفرة دوما للموظفين التابعين للمنصة البحرية المتنقلة .



صيد السمك هواية محببة يمارسها معظم رجال المنصة في أوقات الفراغ .



تصوير عبد اللطيف يوسف



حياة طبيب

تلقيت كتاب «حياة طبيب» حفيا به بعد ما قرأت من ثناء عاطر عليه ، ومن مديح لأسلوب مؤلفه الذي قيل فيه أن كثيرين ممن يحترفون الكتابة ، ويحسبون أنهم يصولون ويجولون في ميدانها ، يفتقرون الى مثيله . واشتقت الى معرفة مصداق هذا الكلام ، فكان هذا الاحتفاء بقراءة الكتاب والاقبال عليه ، فضلا عن شغفي بالتراجم الذاتية وتقديري لها ، سواء كتبها أديب أو طبيب ، أو عالم أو فنان ، ففيما يقوله الواحد من هؤلاء عن نفسه سبر لغوره ، وغوص في أعماقه ، واهتداء الى الكثير من مزايا النفس وخصالها الحميدة أو مذامها وقبيح صفاتها ، سواء قصد صاحب الترجمة الى ذلك أو لم يقصد . فهي مرآة صادقة تبدو على صفحتها حقيقة النفس بغير طلاء أو رياء ، فقد تقف أمامها متجملا متزينا معنيا بنفسك كل عناية ، وتأبى هي الا أن تشيح بوجهها عن كل ذلك فلا تبدي من النفس غير حقيقتها بغير تجمل أو تزين .

وقد قدم الدكتور طه حسين هذا الكتاب فأبدى اعجابه به ، وأثنى عليه الثناء المستطاب . وهو جدير بالثناء لا شك في ذلك ، ولكنه أيضا خليق بالاشارة الى نواحي النقص ومواضع النقد ، هذا اذا كان مقدم الكتاب يريد حقا أن يكون الرائد الذي لا يكذب أهله .

وقد أراد مؤلف الكتاب — بادىء ذي بدء — من كتابه أن يكون عظة وعبرة لبناته وأحفاده يروحون به عن أنفسهم ، ويستعيدون ما كان لعميد أسرتهم من ذكريات طفولته وشبابه ، وقد كان يحدثهم عنها حديث الأب لبناته ، أو حديث الجد لأحفاده فيجد منهم شغفا بالحديث ، واقبالا عليه ورغبة في الاستزادة منه ، فكتب ما كان يتحدث به ليعودوا اليه اذا شاؤوا ، سواء حضر بينهم أو غاب عن أعينهم فيكون بهذه المثابة «كتابا عائليا» لا شأن لغير العائلة به ، حال «ألبوم» الصور الذي تعتز به العائلة . وقد تطلع غيرها من الناس عليه ، وقد لا تطلعهم ، ويظل له بينهم — على كل حال — المكانة الأثيرة والمقام المحمود . ولكن البنات والأحفاد أبوا الا أن يشاركهم الناس فيه ، لعلهم أن ينتفعوا بعظة منه أو عبرة ، وهم لا شك واجدون فيه العظة والعبرة . فحياة عريضة كهذه حالفها النجاح والتقدير وارتفعت بصاحبها — أو ارتفع هو بها — الى مكانة ملحوظة في ميدانه ، لا يعدم القارىء أن يجد فيها عبرا وعظات ، أيا كان هذا القارىء ، وأيا كان ميدان تخصصه ، فالافادة من التجارب لا تخص قارئا بعينه ، ويتساوى في الافادة منها جميع القراء ، على اختلاف أو على سواء .

وتقرأ الصفحات الأولى من الكتاب فتشعر أنك حيال شاعر يهيم حبا بالمناظر الجميلة التي تبدو في القوارب الشراعية حين تنساب انسيابا على صفحة النيل الهادىء ، أو حين تبدو في تغريد طير ، أو زقزقة عصفور يقفز فرحا مرحا من فنن الى فنن أو ينتقل من غصن الى غصن ، كما تشعر أنك حيال كاتب بليغ قادر على امتلاك ناحية الكتابة حين يختار كلماته اختيارا ، وينتقي ألفاظه انتقاء . فلا تجد كلمة قلقة ، ولا لفظة في غير موضعها ، ولا حشوا هنا أو زيادة هناك ، كأنما قد غربل ما كتب غربلة فلم يبق لك منها الا ما قدر رضاك عنه ، وارتياحك لقراءته .

وذلك درس جدير أن ينتفع به هؤلاء الذين يسخون في الكتابة سخاء مفرطا ، وتشاء المصادفات أن أقرأ كتابا آخر ، في ترجمة ذاتية لطبيب آخر ، فإذا به لا يكاد يترك شيئا من حياته الا وقد دونه وأثبته ، وما أخاله الا كان يدون في مذكراته كل ما كان يمر به في حياته منذ أن عرفت يداه الامساك بالقلم ، ثم أفرغ كل ذلك في كتابه كما تفرغ الأشياء من وعاء الى وعاء .

وللمؤلف كما لغيره — من ذكريات الطفولة، العزيز الأثير الذي لا ينساه ، ولا يغيب عن ذاكرته ، وهو يمعن في الرجوع الى الوراء حتى يصل الى سن الرابعة من عمره ، ليذكر ما يعيه فيه من ذكريات . وأنا أشك في أن يذكر امرؤ ما كان له في هذه السن على سبيل التجربة الواعية المدركة ، وانما يذكرها من كثرة سماعه لترددها من أهله وذويه حين يتندرون بها ، أو يعيدون عليه صنوف شقاوته في طفولته وصباه ، ومن هنا ترسخ في ذهنه ، وتبدو كما لو كانت هي ذاتها الصورة التي حدثت له بكاملها ، فإذا تناولها من أعماق ذاته بدت له كما لو كان قد شاهدها في ماضي حياته البعيد ، ودليل ذلك أنه قد تحدث عما كان يوم ولادته ، وبديهي أنه لا يذكر ذلك اليوم وانما سمع ما كان فيه من أمه واخواته والمقربين اليه .

ولندع ذكريات طفولته لبناته وحفدته فلا أرب لنا فيها ، ولنتحدث عن ذكرياته في مدرسته ، ويذكر المؤلف منها زيارة الشيخ حمزة فتح الله لها ، وكان حينذاك مفتشا للغة العربية ، وكان اعجابه بذكائه اعجابا دفعه الى انشاء بيت من الشعر يعبر به عن هذا الاعجاب قائلا :

يا نجيبا قد فزت رأيا وقولا

فاز من يهتدي الى ما اهتدينا

وقد شاء الله أن يلتقي التلميذ والمفتش بعد ذلك بثلاثين عاما حين أتى الى عيادته ومعه سيدة مريضة وسأله الأجر الذي يريد فقال :

ان سيدي الأستاذ أدى الحساب منذ ثلاثين سنة ، وذكره بما مضى من جميل الذكريات ، فضمه الى صدره في حنو وتقدير وهو يقول :

هذا يوم من أسعد أيام حياتي .

وأتاه في عيادته زميل من زملاء الدراسة كان على جانب كبير من الكسل والتراخي ، ولكنه حقق النجاح في الحياة وتحصيل المال فأصبح رجلا ذا جاه ومال ، وذكره بماضي حياته ليقول :

ها قد أصبحت طبيبا ومضى عليك في عملك خمسة عشر عاما ، فماذا اقتنيت من مال وعقار وطين، بضعة أفدنة لا تزيد .. أما أنا الذي لم أحصل علما ولا ثقافة فلي من الأفدنة مائتان وتزيد . وضحك الاثنان معا ، راضين بما قسم لهما من حظ .

والمؤلف يذكر لنا حكاية لا أميل فيها الى ترجيح جانب على آخر من جانبي الانكار والايمان وانما أذكرها على علاتها ، فما أكثر ما في حياتنا من أمور تستعصي على الفهم والبصيرة . مات أبوه فجأة ، وأرسل هو الى شقيقته الكبرى يخبرها بالنبأ الفاجع ، وقبل أن يصلها النبأ أرسلت هي برقية تعلن قدومها واستقبلها على رصيف المحطة ، وعرف منها أنها لم تتسلم رسالته وهي مع ذلك كانت متشحة بالملابس الأسود الذي يلبس في مناسبات الحزن والحدادوسألها تفسيرا لذلك فقالت :

« رأيتك في المنام في غفوة الصباح وأنت ترفع الكلة عن سرير أبي فتجده قد فارق الحياة ، كما أني شهدت الثريا المعلقة بسقف الردهة الكبيرة مجللة بالسواد ، والأرائك منقولة من مكانها وموضوعا

تأليف الدكتور نجيب محفوظ

نقد وتحليل الأستاذ عزت محمد ابراهيم

بدلها حشايا (مراتب) مغطاة بنسيج أسود ، فقمت من نومي وأنا موقنة أن أبي قد مات » .

ولكن ذلك هو ما حدث على وجه الدقة واليقين ، كما وصفه صاحب الكتاب ، وما أراك الا قد بدأ الاستغراب عليك كما بدأ علي ، ولا أدري أتصدق أم تكذب ، وسواء صدقت أم كذبت ، فالأمر غريب في نظرك كما هو غريب في نظر صاحبه الذي لم يستطع ان يجد له تفسيرا يطمئن اليه ، وقد عاد المؤلف في فصل آخر من فصول كتابه فضم الى هذه الحادثة حوادث أخرى مما لا يعرف لها تفسيرا أو تعليــلا .

ويتحدث المؤلف عن بعض ذكرياته أيام الدرس والتحصيل في مدرسة الطب حديثا لعل الناس أن ينتفعوا بما فيه ، ولعلهم أن يفيدوا بها في الاستقامة والخلق القويم من نفع وجدوى . فإن أكثر العابثين اللاهين الذين عرفهم في هذه الفترة من حياته قــد انتهوا دون الغاية التي كانوا يؤملون بلوغها ، فمنهم من قصر على نيل اجازة الطب ، ومنهم من تخرج من مدرسته نكرة لم يحقق في مهنته نجاحا ولم يترك ذكرا ، وضاع في دوامة الحياة ، التي يضيع فيها الطبيب وغير الطبيب ، ولا يبقى من الجميـع غـير المثابر الذي يضع نصب عينيه هدفا يصل اليه ، فلا يشغله عنه عبث ، ولا يحوله لهو أو لعب ، وهؤلاء هم الممتازون الأفذاذ الذين لا يرضون بأقل من الصيت البعيد ، والشهرة المستفيضة .

وقد يكون لهؤلاء المستهترين اللاهين لذة عاجلة ، ولكن من المؤكد أن يعقبها ندم لا ينفع ولا يفيد وخذ لذلك مثلا من هذه الأمثلة :

كان المؤلف يجتمع بزميل له للاستذكار ، وأمام بيته دار لرجل ثري محب للطرب يلتمس لنفسه ولأسرته أسباب السرور ، فيأتي بعازفين على العود ، فإذا انتهيا من عزفهما وقفا في شرفة الدار ليبدءا عزفا آخر بالطوب والحجارة يريدان أن يلفتا اليهما نظر الطالبين ، ولم يعبأ هو بهما ، وانزلق الآخر معهما . وكانت النتيجة أن سقط في امتحان الطب ، وآل به أمره الى عمل كتابي في مصلحة السكة الحديدية .

وقد يتخرج الطبيب ولا يكاد يطمئن الى مستقبل زاهر مرموق حتى يضع قدمه على مزالق الغواية . فإن لم يكن له من نفسه وارادته عاصم ، ضاع شر ضياع ، وانتهى الى شر نهاية ، أو على الأقل الى نهاية هي دون ما كان يطمح ويؤمل من سؤدد ونجاح .

وكان المؤلف أثناء تحصيله قد اعتراه شك وارتياب في مسائل الخلق والعقيدة ، ولكنه لم يلبث أن ثاب الى ركن ركين من الايمان القائم على اقتناع قوي ، وكان مدعاة ايمانه التدبر فيما خلق الله ، وهو أمر ميسور لكل انسان ، ويمتاز الطبيب في ذلك على ما عداه أن يطلع على عظمة الله في خلقه كما لا يستطيعه غيره ، وهو لذلك أقرب الى الايمان والاقتناع من سواه من الجهلة الجاهدين الذين يكتفون من الانكار النفي بغير بينة أو دليل ، وقد يؤودك جدال جاهل في هذا السبيل حين يكون من اليسير جدال العالم البصير ، وما أصدق علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حين قال : جادلت العالم فغلبته ، وجادلني الجاهل فغلبني .

وقد خرج الدكتور نجيب من علمه ودرسه بالدليل الواضح على وجود عقل مدبـر لهذا الكون يحكم بارادته ارقى المخلوقات كما يحكم أدناها في مراتب الخلق والتكوين . فهو يتأمل الميكروبات والجراثيم فيجد من أمرها عجبا . فهي بالرغم من انحطاطها تخضع للقانون الصارم الذي تخضع له الأحياء كافة في حفظ نوعها ، والجهاد العنيف في سبيل بقائه ومن الميكروبات ما هوضروري للانسان ومنها ما هو عدو لدود له يسعى بكل سبيل للقضاء عليه . ولكنه بالرغم من كل ذلك يعرف طريق الخلاص والنجاة معرفة يقف أكبر عقول الانسان أمامها في ذهول واستغراب . فهــذه الميكروبات متى شعرت بخطر يتهدد حياتها ، أفرز عدد منها مادة تقضي بها على مبيداتها ، فإن لم تفلح لجأت الى حيلة أخرى فأفرزت طبقة كأنها السياج حول غلافها تحول بينها وبين شر المبيدات القاتلة وتتحول حينذاك الى « جرثومة » . فإذا اطمأنت الى زوال الخطر أفرزت مادة أخرى تزيل به سياجها لتستأنف مألوف حياتها .

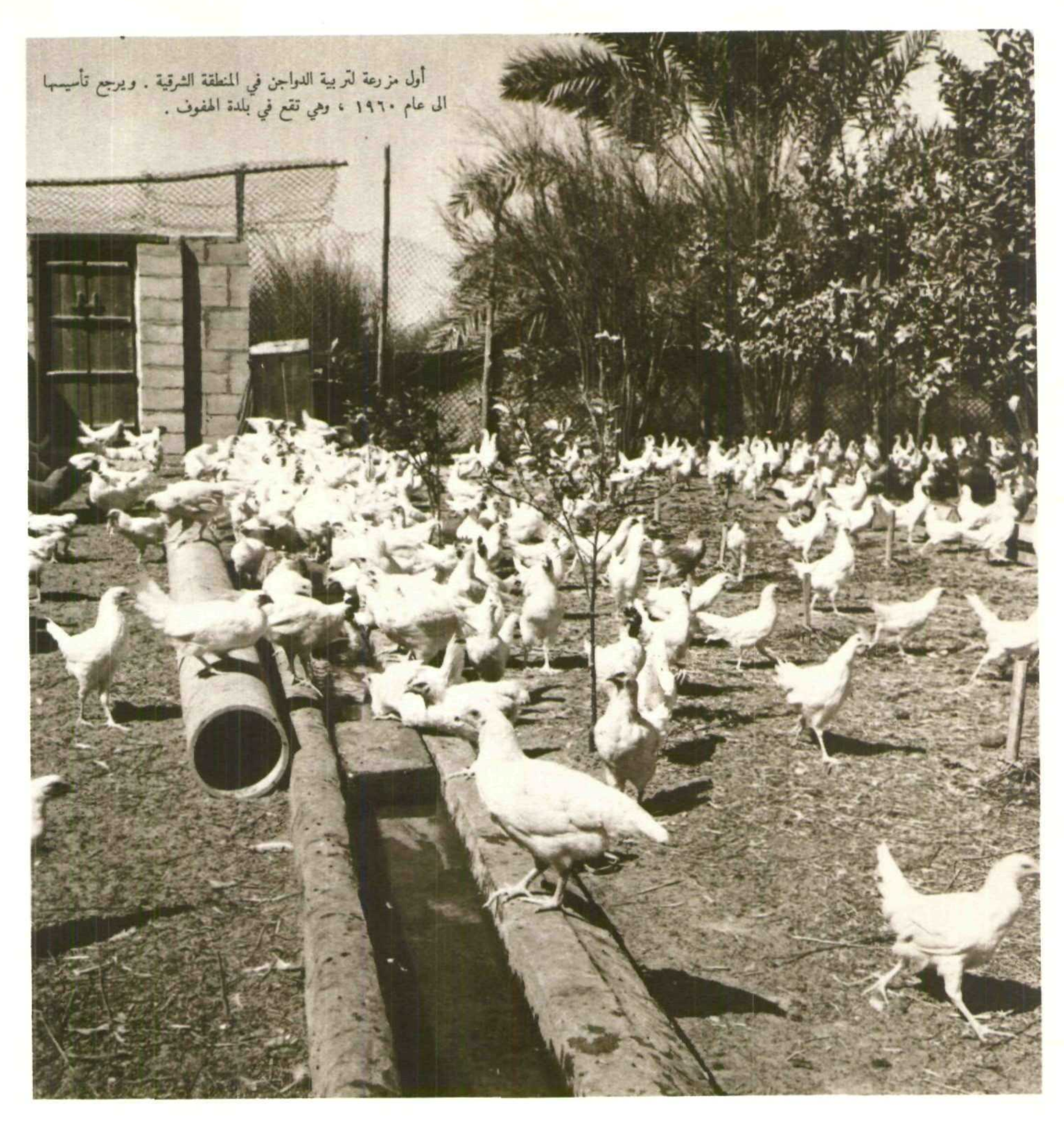
وقرأ المؤلف وصـف « دودة غانـا » في كتب « باترك مانسون » فلم يكتم عجبه من أساليب هذه الدودة الغريبة في الاحتيال لبقاء نوعها ، فهـي تصيب السقائين من حملة قرب المياه ، واذا أتمت دورتها في جسم الانسان ، احتالت لبقاء نوعهـا بقذف بويضاتها الى الماء الذي يغوص فيه السقاؤون ، فتسير تحت الجلد حتى اذا وصلت الى القدم ثقبت الجلد وقذفت ببيضها الى المـاء .

ويقول قائل انه عمل الغريزة ، ولا حيلة ولا احتيــال .

ولا نريد أن نعترض بالبحث في الغريزة : ما هي ؟ وما دليلها ؟ ومن ذا الذي أودعها في هــذه الكائنات التي لا تعقل ولا تعي ؟ ولكننا سنسلم بأنها الغريزة . وقد أراد « مانسون » أن يفسد عـلى هذه الدودة خطتها التي تمليها عليها « غريزتها » فغطى أقدام السقائين بطبقة من القار وظن أنه قد اطمأن الى حبسها في داخل جسم المريض والقضاء عليها ، فاحتالت هي بأن غيرت خطتها القديمة ، واستقرت في ظهور السقائين المبللة بالماء ، وثقبت الجلد وقذفت بالبيض . فإذا كانت هذه أيضا غريزة فحسبها أن تكون غريزة تقف من عقل الانسان المفكر الواعي الحصيف موقف الند الذي يغالـب فيغلـب .

وفي « حياة طبيب » ما هو حديث عام ينتفع به القارىء ، وما هو حديث خاص يخص صاحبه ، وقد لا يجد فيه القارىء ما يهمه أو يعنيه ، ولا نستطيع أن نطالب الكاتب باغفاله ، فهو يكتب تاريخ حياته يخفي منها ما يريد ، ويظهرك منها على ما يريد . ولكن في حياة كل انسان جوانب من النقص كما فيها جوانب من التمام أو ما يقاربه ، وليس في وسع انسان أن يزعم أن حياته كلها تسير على وتيرة واحدة من التمام والكمال ، ولا يعيبها عيب ، ولا يعتريها نقص أو انتقاص ، ومن كتاب السير الذاتية من جرد نفسه تجريدا . أما القارىء فأبدى صفحتها كما هي بغير تبديل أو تعديل ولكنهم على الأكثر من كتاب الغرب أمثال « جان جاك روسو » و « أندريه جيد » . وليس بيننا من استطاع أن ينحو نحوهم في الحديث الواضح الصريح لأسباب عديدة مستمدة في أغلبها من البيئة ونهج الحياة ، وقوانين المجتمع ، ولا خير في هذا التجرد والتعري يعود على الكاتب عندنا أو يعود على قارئه كما أنه لا خير في نقيضه في ادعاء كل كمال ومحمدة ، فقد يكون ذلك مدعاة للشك في كل ما قال على اطلاقه .

وفي الكتاب بعد ذلك مواضع للنقد غير قليلة ، أكثرها في مسائل كان في وسعه تجنبها والابتعـاد عن الخوض فيها ، وليته كان قد فعل ، اذن لأبقى صورته الحلوة المشرقة وجنبه مزالق سوء الظن والتأويل .



أول مزرعة لتربية الدواجن في المنطقة الشرقية . ويرجع تأسيسها الى عام ١٩٦٠ ، وهي تقع في بلدة الهفوف .

تربية الدواجن في المنطقة الشرقية

ماضيها وحاضرها ومستقبلها

بقلم الاستاذ سامي بابه

تعتبر تربية الدواجن من الشؤون الزراعية المهمة التي شقت طريقها مؤخرا بنجاح الى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية . فقد كانت المنطقة حتى عام ١٩٥٩ م تعتمد اعتمادا شبه كلي على البيض المستورد من استراليا ولبنان وبعض بلدان أوروبا . ويعزى ذلك الى عوامل عديدة أهمها افتقار المنطقة الى الخبرة الضرورية لتربية الدواجن ، وعدم توفر الارشادات السليمة للمزارعين ، بالاضافة الى أن مواد العلف اللازمة لتغذية الدواجن ومبيدات الحشرات كانت غير متوفرة في الأسواق المحلية .

بيد أن أسعار البيض المغرية في ذلك الوقت وحاجة الناس الى البيض الطازج وتشجيع بعض المزارعين من قبل « قسم المساعدات الزراعية » في شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) على تأسيس مزارع لتربية الدواجن ، كل هذه العوامل حفزت بعض المزارعين على اتخاذ خطوة اولية في هذا المضمار ، وذلك على سبيل التجربة .

وقد لاقت هذه الخطوة رد فعل مشجع من قبل الأسواق المحلية وكذلك من قبل أرامكو التي بادرت الى شراء ما يزيد على ٨٠ في المائة من انتاج هذه المزارع رغبة منها في دعم هذه الخطوة البناءة وتطويرها ، الأمر الذي حدا بكثير من من المزارعين الى الاقبال على انشاء مزارع مماثلة ، ففي خلال سبع السنوات الأخيرة مثلا ، ارتفع عدد المزارع الخاصة بتربية الدواجن من أربع الى خمس وعشرين مزرعة ، كما ازداد أيضا انتاج البيض في المدة نفسها من نحو نصف مليون بيضة في العام الى ما يزيد على ١٨ مليون بيضة . وقد ساعدت هذه الانطلاقة في السنوات الثلاث الأخيرة على توفير أكثر من عشرة ملايين من الريالات من الدخل القومي كانت تصرف في الماضي لقاء استيراد البيض ولحوم الدجاج . ويقدر ما وفرته هذه الصناعة الفتية من الدخل القومي خلال ١٩٦٦ بنحو (٤٥٠٠٠٠٠) ريال سعودي .

كان لقيام « مؤسسة مربي الدواجن » في المنطقة الشرقية الأثر الفعال في تطوير هذه الزراعة ، اذ أنها تمكنت من تنظيم عملية التسويق في الأسواق المحلية ، ووضعت حدا لأسعار البيض ، كما ساعدت كثيرا على تحسين مستوى نظافة البيض وفرزه وعرضه في الأسواق بشكل يشجع المستهلك على الاقبال عليه ، بالإضافة الى تأمين الوقاية والعلاج اللازمين للدواجن في المنطقة نفسها . والجدير بالذكر أن هذه المؤسسة قد تمكنت من تسويق البيض الفائض خارج المنطقة الشرقية . وفي الوقت نفسه عملت على رفع مستوى انتاج البيض في المزارع المحليــة .

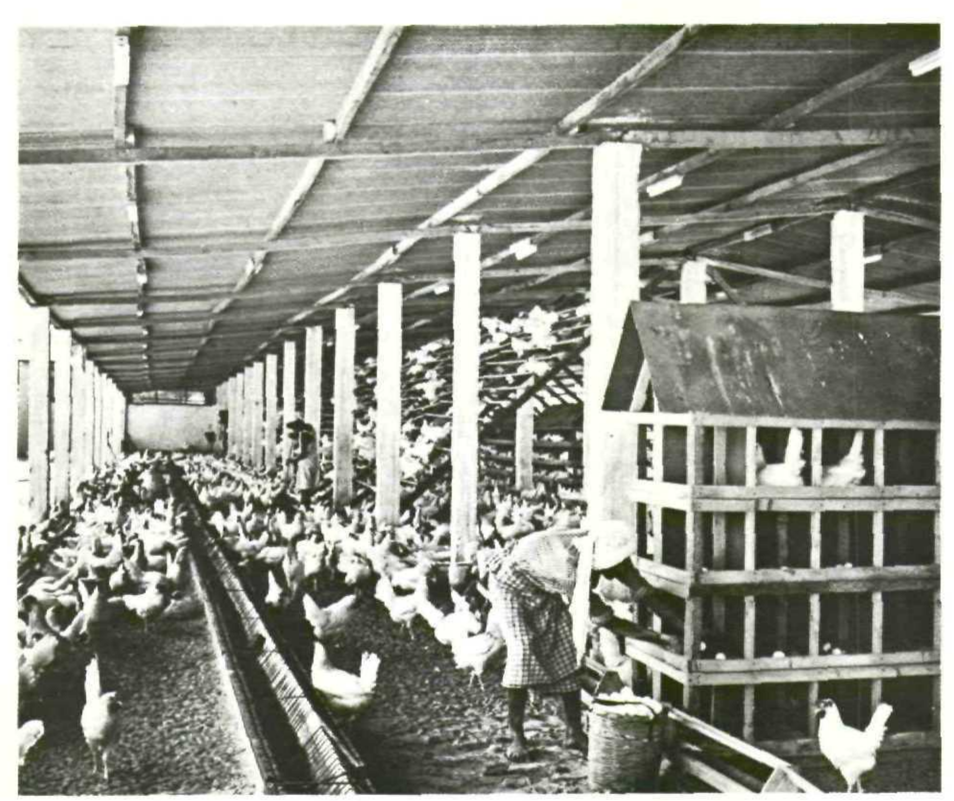
بالرغم من مستوى النشاط الذي بلغه مربو الدواجن في المنطقة الشرقية خلال هذه الفترة القصيرة وتأمينهم احتياجات السكان من البيض فانهم ما زالوا على مفترق الطريق . فهذا التطور السريع في الانتاج قد جاء نتيجة زيادة عدد الطيور ووجود الأسواق المحلية لاستيعابه . ومن هنا بدأ المعنيون بالأمر يوجهون أنظارهم وجهودهم نحو ايجاد أسواق خارج المنطقة لتصريف الكميات الفائضة عن حاجة الأسواق المحلية . ومن المنتظر أن تتضاعف كميات انتاج البيض المحلي خلال السنوات المقبلة ، الأمر الذي يتوجب معه على أصحاب مزارع تربية الدواجن في المنطقة الشرقية المثابرة والعمل الجدي لرفع مستوى الانتاج وتحسينه . فكلفة الانتاج المحلي لا تساعد كثيرا على المنافسة في الأسواق الخارجية اذا ما أضيفت اليها رسوم الشحن ومصاريف التسويق ، وهذا يعني أن على المنتجين أن يلجأوا الى أحد أمرين اما العمل على تحسين المزارع بحيث تنخفض فيها كلفة الانتاج للبيضة الواحدة أو الاقتصار على المنطقة نفسها ، وهذا طبعا قد يؤثر على مستقبل تقدم هــذه الصناعة الفتية .

واذا نظرنا الى نسبة الانتاج العام لجميع المزارع في المنطقة الشرقية ، نجــد انه يختلف باختلاف فصول السنة . فهو يصل في أواخر فصل الشتاء وأوائل الربيع الى حوالي ٦٠ في المائة (٦٠ بيضة لكل مائة دجاجة) ثم يبدأ بالانخفاض الى أن يصل الى حوالي ٢٥ في المائة في منتصف فصل الصيف . ويقدر المعدل السنوي لانتاج المزارع المحلية كافة بنحو ٤٥ في المائــة .

ويرجع السبب في انخفاض نسبة الانتاج المحلي الى عدم توفر العوامل التالية :

١ — الادارة الصحيحة والخبرة اللازمة .

٢ — المكافحة الوقائية والنظافة .



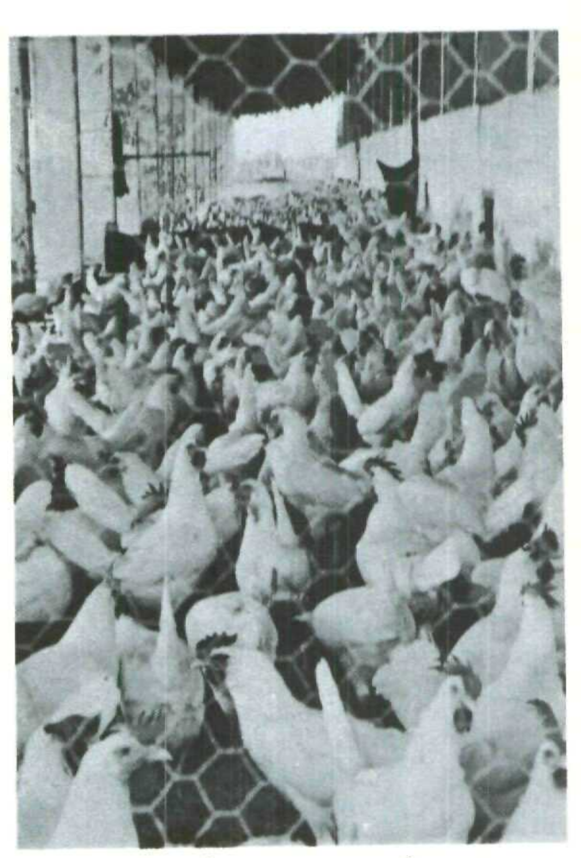
جانب من مزرعة « علي بخرجي » في سيهات وقد أنشئت عام ١٩٦٦ . وروعي في تصميمها تأمين المياه اللازمة والمواصفات الصحية والتهوية الجيدة ، مما يكفل زيادة الانتاج . وهي تضم حوالي ٢٥ ألف طير .

٣ – البيوت المناسبة والعلف المتكامل .
٤ – الابحاث العلمية .
٥ – العوامل المناخية .

ولا يجب أن يستهان بأهمية الخبرة والادارة الحسنة في نجاح مشاريع تربية الدواجن . ومفهوم تربية الدواجن عند بعض المزارعين لا يعدو عن كونه مجرد استيراد الصيصان وايوائها تحت سقف واحد ثم اطعامها بما تيسّر من الحبوب . وهذا المفهوم يعتبر من الأسباب الرئيسية التي تحول دون نجاح بعض المزارع المحلية وتعرضها بالتالي الى الكساد والخسران .

ان الادارة المدعمة بالخبرة من العوامل الأساسية لانجاح أية مزرعة . فعن طريق الاحصاءات ، يستطيع المزارع أن يحدد أفضل الأوقات لجلب الفراخ لا سيما في الوقت الذي تكون فيه العوامل الطبيعية مناسبة للانتاج ، كذلك يسعى الى التخلص من الطيور في الوقت الذي تكون فيه العوامل الطبيعية غير مواتية للانتاج .

فإذا كان طن العلف يعطي ٧٢٠٠ بيضة في اليوم في الخريف والشتاء وأوائل الربيع ،



مزرعة دواجن أخرى في سيهات وقد تأسست عام ١٩٦٣ . وتظهر فيها بعض التحسينات المستحدثة .

طريقة آلية حديثة يتم بها فرز البيض وتحديد نوعيته .

فانه يعطي ٣٠٠٠ بيضة يوميا فـي منتصف الصيف . فالادارة الحكيمة هـي أن يسمح بوجود أكبر عدد ممكن من الطيور المنتجة للبيض في الفترة الأولى ، وجعل فترة الصيف مقصورة على التربية فقط .

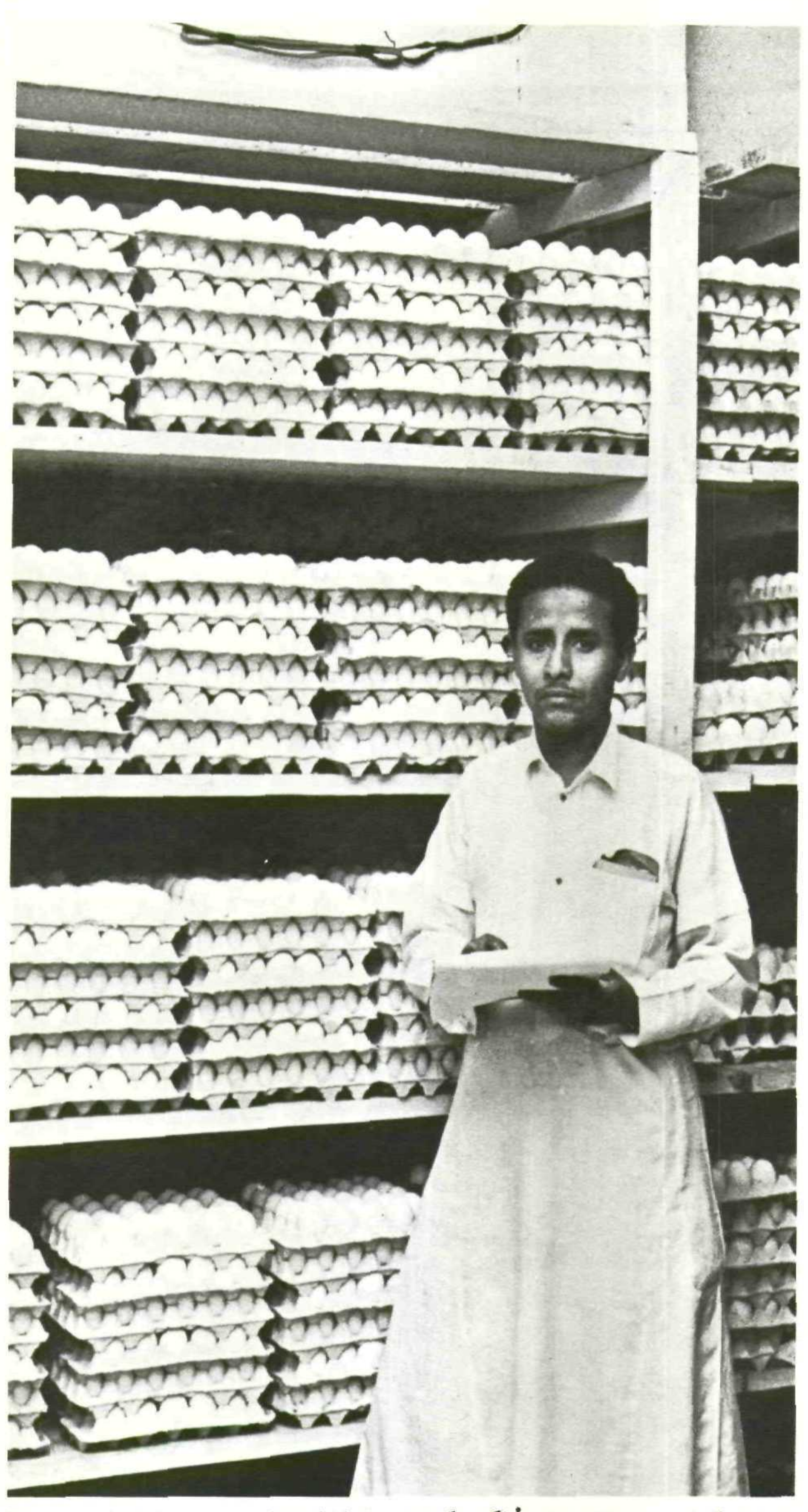
فمن هذا يتضح لنا أن الادارة المعززة بالخبرة تستطيع تحديد أوقات التلقيح وتشغيل اليد العاملة ورأس المال بشكل يؤمن مصلحة المنتج ، كما أنها تعمل على المحافظة على المستوى الصحي في المزرعة بشكل يحد من نسبة انتشار الأمراض الى غير ذلك من الأمور التي تضمن زيادة نسبة الانتاج والحد من تكاليفه .

والارشاد الفعال لا يقل أهمية وشأنا بالنسبة الى تطوير مزارع تربية الدواجن . فمربو الدواجن في المنطقة الشرقية ينتمون الى فئات مختلفة ، منهم من يرغبون في ادخال تحسينات عـلى مزارعهم الا أنهم في الوقت نفسه يفتقرون الى الارشادات السليمة والضرورية التي تساعد فعلا على تحقيق هذه الرغبة . ومنهم من يتطلعون الى تطوير مزارعهم ، غير أنهم لا يولون هذا التطلع المثابرة والاجتهاد .

والعامل الثالث الذي سيكون له دور رئيسي في تحسين مستوى انتاج مزارع تربية الدواجن هو العناية والاهتمام المتزايدان اللذان تضطلع بهما وزارة الزراعة وبنك التسليف الزراعي وذلك لتطوير هذه المزارع ، ولاستقدام الخبراء الزراعيين لدراسة امكاناتها دراسة وافية تستهدف ضمان مصلحة المنتج والمستهلك وزيادة الدخل القومـي .

وليس لدينا أدنى شك في أن المساعدات التي تقوم بها وزارة الزراعة بالتعاون مع وزارتي الشؤون الاجتماعية والمالية وبنك التسليف الزراعي من ارشادات وابحاث وقروض ومراقبة للبيض المستورد ، كلها تساعد المنتج المحلي ولا شك على رفع نسبة انتاجه ، ومن ثم منافسة الانتاج الخارجي ودخول أسواق جديدة تساعده عـلى زيادة أرباحه ، وهذا بدوره يزيد الدخل القومي ويؤمن احتياجات سكان البلد من البيض .

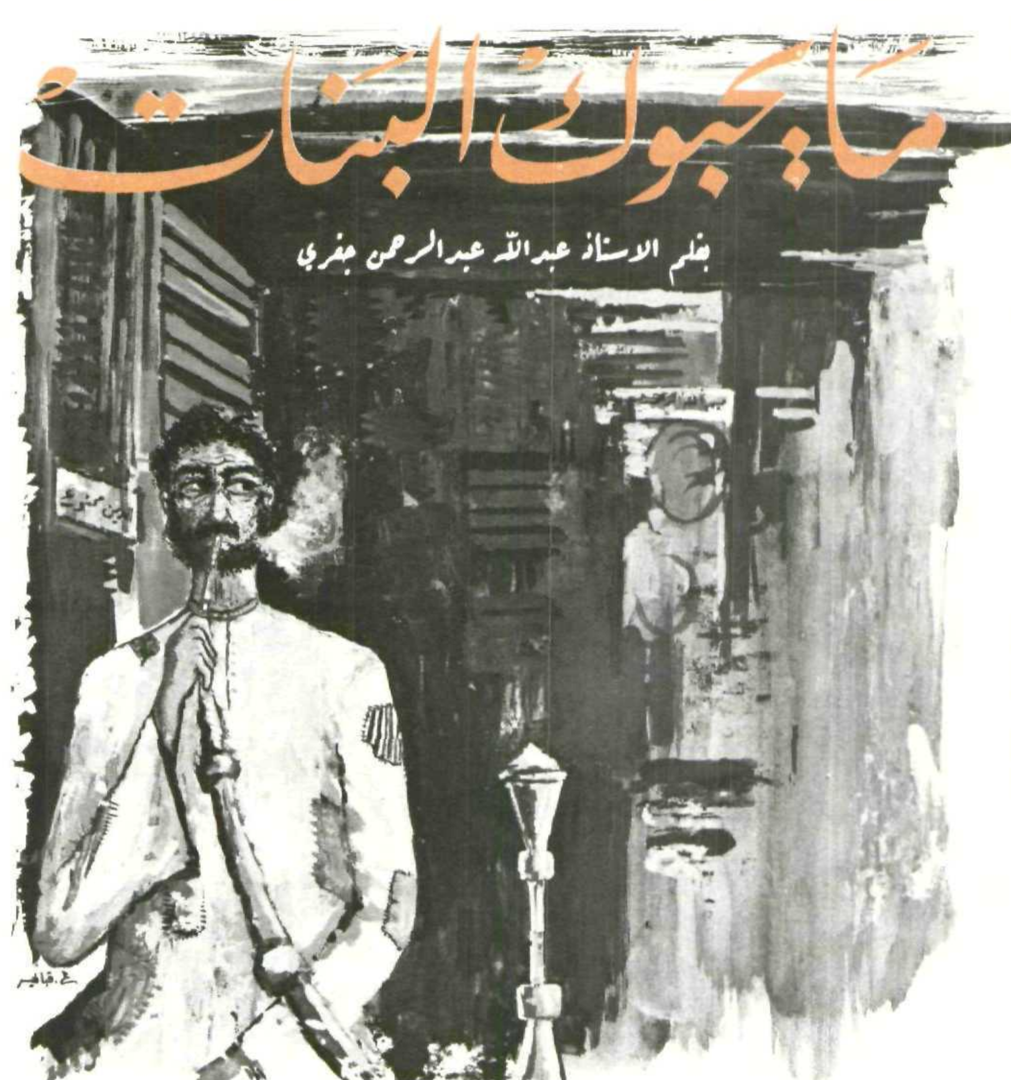
هذه العوامل الآنفة الذكر من ادارة وارشاد ورعاية يمكن اعتبارها أسسا رئيسية يعوّل عليها مستقبل صناعة الدواجن في المنطقة الشرقية ، وهي مرتبطة بعضها بالبعض الآخر بحيث لا يمكن أن تعطي نتيجة فعالة وسريعة الا اذا عولجت جميعها كوحدة متكاملة .



بعد فرز البيض يجري تخزينه في أماكن مكيفة لا تقل الحرارة فيها عن ٤٥ درجة فرنهايت ، تمهيدا لتسويقه .

ما يحبوك البنات

بقلم الاستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري



مبنى البلدية في «أجياد» يقف في وسط ميدان مغمور طمسته المنازل الشاهقة المتناثرة في هذا الحي في شكل هندسي قديم جدا . لم يهدم التخطيط بعد هذا المبنى ، ولم يقوض المنازل الكبيرة التي أصبح مكانها اليوم ميدانا واسعا كبيرا .

كان ذلك قبل سنوات طويلة .. طويلة .. ربما زادت على العشر سنوات . وعلى يمين الداخل الى المبنى زقاق ضيق قصير لا يتسع الا لاثنين .. زقاق يفصل بين مبنى البلدية الأبيض وبين بناء قزم تسمع منه صوت «مطابع الحرم» لصاحبها الشيخ السباعي .. لطباعة البطاقات ودعوات الزفاف وبعض الأعمال التجارية التي لم تتسع حتى ذلك الوقت .

ويلتصق بهذا البناء منزل كبير ، حول دهليزه الى مكتب تجاري اسمه «مكتب الكندوائي» لخدمة المسافرين على البواخر الى الهنــد .

وأمام باب هذا الدهليز التجاري «دكة» بنيت من الحجر الصلد الذي يقف شاهدا مع كل متحدث عن قوة بناء السلف الغابر ، وتدلل هذه الأحجار المتراصة أن الجيل الماضي كان لا يعتمد في البناء الا على الحجر ، وتسمع من يستطرد قائلا :

— اسمنت ايه يا ولدي .. كما كنت تسمع أن عمارة انهارت ، أو مالت لأن «ساسها» ضعيف ، وبناءها تـــراب ..

ويرتبط هذا الاستقرار الملموس لفترة تاريخية خلت عن البلد بشاهد عجيب لا أدري لماذا يعمد بعض أولئك الرواة الى شده بتلك الفترة ؟ الشاهد آدمي .. انسان يمشي ويتحرك ويفتح فمه ، ويأكل ويشرب .. وان كان لا يدري الآن ما يقوله الناس عنه .. كل ما يسمعه ويعيه .. تلك النداءات الشقية التي يقذفه بها الأطفال — كل أطفال مكة — لحظة مشاهدته سائرا أو جالسا .. يلم نفسه على نفسه وينسى ما حولــه .

الأطفال يصرخون في وجهه قائلين : ما يحبوك البنـــات !

ويفرون هاربين من وجهه ، ومما تقذفه يده عليهم من حجارة . ويسأل كثير ممن لا يعرف حياة هذا الآدمي : ما هي قصته .. ما نوع الارتباط بين حياته وبين هذه العبارة الغريبة .. هل يغضب انسان اذا اكتشف ان البنات لا يحببنه ؟

يغضب .. هذا شيء لا يحتاج الى جدل .. كل انسان يتوق الى حب البنات ، فالبنت دائما تبدو في ذهن الرجل قبل الزواج رقيقة .. خجولة .. حلوة ، ان في ملامحها ، أو تكوينها الطبيعي ناحية جمالية تناقض العيوب التي فيها .

والبنت شطر الرجل الآخر ، كما أن الرجل شطرها الآخر . كلاهما مكمل للثاني حسب ناموس الحياة . لكنني كآدمي .. كرجل ، ألا أغضب اذا قيل لي : ما يحبوك البنات ؟ انني أغضب فعلا عندما تقول لي البنات أنفسهن : لا نحبك .. فهذا يعني أنني مشوه .. ثقيل .. شخص غير مرغوب فيه .

وملاحظة جديدة في حياة هذا الرجل البائس الذي اتخذ شكل المجانين في أعين الناس ، ان بنتا واحدة لم تحاول يوما أن تعاكسه .. ان تؤله .. ان تقول له «ما يحبوك البنات» .. بل انني طوال وقوع نظري على هذا الآدمي لم أشاهد بنتاً واحدة قــد اقتربت منه ، لتقول له : ما يحبوك البنات .

لـــماذا ؟

هل يعني هذا أن البنات حقا لا يحببنه ، فابتعدن عنه ، ولم يعد يحظى بكلمة «بناتية» واحدة ؟

أم أن البنات يشفقن عليه ، ويتعاطفن نحوه ، فيحز في نفوسهن ايذاؤه بكلمة لا يحبها .

أم أنهن آذينه في شرخ حياته ، وآلمنه ، وتسببن في مأساته فاكتفين بما وصل اليه ؟

ما يحبوك البنات : عبارة فيها تساؤل كبير . يعني أن في حياة الرجل المجنون هذا حبا مفقودا ضاع منه ، فضاعت حياته كلها !

ولكن .. هل يصنع الحب كل هذه المأساة المحزنــة ؟

يفعل الحب .. هذا أكيد ، ولكن كيف فعل الحب هذه المأساة في حياة آدمي أراد أن يعيش الحياة انسانا فعالا ؟

إن كل التساؤلات الجوهرية التي تهـم المعرفة عن حياته ، كلها تضيع في غابة كثيفة من الشعر الأبيض والأسود على وجهه ، وفوق جلدة رأسه !

ما يحبوك البنات : هكذا عرف بهذا الاسم .

قامته طويلة فارعة ، وجهه طويل ، لحيته كثة مهملة ، أسنانه مهشم أكثرها ، ثيابه مهلهلة ، رقعت جوانبها بألوان الخيوط كأنه في حفلة تنكرية . ان أيامه كلها أصبحت حفلة تنكرية يعيشها ليقول للناس كلهم :

— حياتكم ملونة .. ممزقــة .

وفي وقت الظهيرة تقبض يداه المعروقتان على حزم الكراث .. لا شيء غير الكراث . هو غذاؤه اليومي .. يلوك هذه الحزم ، ويبتلعها هانئا ، ثم يتوسد على التراب أمام دهليز «الكندوائي» التجاري ، وينام الظهيرة كلها نوما عميقا لا يسمع أبدا أي صوت من الأصوات التي تقترب من جسده وهي تقول : ما يحبوك البنات !

وفي العصر ، ينفض التراب عن ثوبه الكالح المهلهل ويقف ليشاهد الأرض التي كان ينام عليها

ترش بالماء ثم يبصر مجموعة كراسي خشبية تصف أمام الدهليز التجاري ، ويخرج أصحابها للجلوس ، وقضاء فترة العصر .. ويخبط هو على قدميه ، ويمشي بحثا عن لا شيء .

ان هذه الرقعة أمام الدهليز التجاري هي بيته الذي يأوي اليه ظهرا وليلا .

وتعود معه العبارة الفارقة كالعلامة الفارقة : ما يحبوك البنات لينام ليله ، ونباح الكلاب في أذنيه وذرات الأتربة على عينيه .

وفي دوامة هذه المأساة يسمع من يقول له مع الصباح ، ونشاط الحركة في الشارع : ما يحبوك البنات !

ويثور ويمسك حجرا ليقذف به نحو أي اتجاه ثم يلوك بين أسنانه حبة « تنبول » وكأنه يفيق للحظات ، ويتذكر حياته يستعيد قصته بذهول مر !

هل صحيح أنه آدمي ؟

هل يعتبره الناس انسانا كان له عقل يفكر فيه ، وسواعد يشقى بها ويحصل على قوت يومه ؟

انه لا يعرف الناس . لقد ابتعد عنهم سنوات طويلة ، فغشيت البأساء عينيه ، فلم يعد يبصرهم على حقيقتهم .. بل لم يعد يرى أن « حقيقة » تضمهم . فهم يعيشون حياتهم بلا حقيقة . يمشون سادرين بالوهم ، وبالتخيل ، وبالأحلام . الحياة عند كل الناس مجرد حلم طويل خادع .

هو أيضا كان مثلهم .. يعيش الخديعة ، والأحلام الطويلة التافهة . كان يملك متجرا في قلب محلة « أجياد » .. متجرا متوسطا يبيع فيه ، ويكسب قوت يومه ، ويهنأ بساعات الراحة من ليله .. سعيدا بحياته المنفردة .. ليس له أب ، أو أم ، أو أسرة .

كل ما يربطه بمعنى القرابة أخ غائب لا يعرف مكانه ، ولا يسمع أخباره . ملامحه افتقدها .. اسمه « مشتركا » .. يشترك معه في كثير من هؤلاء الناس الذين لا يعرفهم . انه يعرف أشخاصا كلهم لهم اسم « علي » وأخوه « علي » لا يعرفه ، وهذا يحدث كثيرا بين الأحياء والاخوان والأسرة الواحدة .

ان نفترق ، وأن يتحقق الرحيل يوما ما ، وأن نتقطع الأخبار ، فتنتهي الروابط كلها ، كل هذا محتمل ومتوقع . لكن أن يعاني كل الناس حرقة الفرقة وعذاب الوحدة ، والابتعاد عن الآخرين ، وقطيعة المشاعر . فهذا مثار تفكير لم يحدث أن تعرض كل الناس لهذا الانفصام الانساني ، وهذا ما دفعه للشرود النفسي ، وأن يغذ أكثر في استحلاب الأحلام التافهة .

أخوه رحل ، وافترق عنه ، وتقطعت الأواصر ، هذا أمر طبيعي لا تثريب فيه . غير أن رحيل كل الناس ، وافتراقهم عنه وعن أنفسهم سبب له الألم والحسرة .

وسدر في متاهات الأحلام أكثر . أغرق خياله في أماني عريضة .

ماذا فيه هذا المتجر .. ماذا يجني من ورائه ؟ المال القليل .. يجمعه على أصابع يده ؟ ولا يجني من ورائه الا صلات تستمر دقائق يقف فيها الزبون ويذهب بعد أن يرمي اليه بقطعة النقود ، وينظر حوله فلا يشعر به أحد !

وأمام متجره نوافذ مدلاة على الشارع .. على بعضها شيش ، وستائر من الجريد اسمها « الكبريته » في تعريف أهل مكة . وفي الليل .. عندما تضاء « الأتاريك » — قبل انتشار الكهرباء — كان يلمح بنتا في حوالي العشرين ، أو هكذا بدت لناظريه . لها قوام متناسق ، حلو ، بديع . يراها كل مساء بعد أن تضاء .. « الأتاريك » وربما تراه هي في النهار من خلف الشيش ، أو « الكبريته » .. في الوقت الذي لا يتمكن هو من اختراق هذا الحاجز !

ويتساءل : لماذا تتخذ مجلسها كل ليلة في هذا الموعد ؟

استطالت الأحلام ، وعرضت ، وتبلورت ، وتحولت الى وهم كبير . انها تحبه ، انها تترصد حركاته ، بلا شك !

ولم يعد يبيع بعد حلول المساء . انه يجلس في داخل المتجر و « يعمر شيشة التنباك » ويغيب مع أحلامه وأوهامه !

انه يتساءل مرة أخرى : هل يمكن أن يكون للناس « كلهم » اسم واحد « علي » مثلا ؟

أن يعاني الناس كل الناس حرقة الفرقة ، وعذاب الوحدة ، والابتعاد عن الآخرين ، وقطيعة المشاعر .. هل يحدث هذا ؟

ان ستارا من الانسلاخ الانساني يتم في حياة الناس !

ان الستائر كثيرة في حياة البشر . لكنها تتنوع وتتعدد . ستائر داكنة وثقيلة ، وستائر شفافة وخفيفة . الا أن الاختراق يتم دائما . اختراق الستائر سهل ، بل وتمزيقها مهمة ناجحة . لكن الوقوف أمام « الخليفة » أو ما هو وراء الستائر ، أمام المحسوس كالعواطف والمشاعر .. أمام « المرغوب » والأثيري . هل يتم هذا الوقوف ؟

ترى هل ترغبني هذه البنت التي شغلت مسائي كل ليلة ؟

هذه البنت تؤلم عيوني ، وتفتت ضلوعي .

رأيتها مرة خرجت من باب البيت ، وسارت أمام دكاني تتخطر . وغابت ووراءها خادم صغير ، ثم عادت قبل الغروب . وفي الموعد ذاته اتخذت مكانها كالمعتاد !

أحس الآن أن هذه البنت أصبحت غرسة في قلبي . جذورها تغور في أعماقي لا يمكن اقتلاعها الا اذا حفر قلبي .. الا اذا فتت . أجن .. نعم أكاد أجن !

ولكن ... ما الفائدة ؟ هل أتزوجها ؟

انني أعتقد أن الناس لا يمكن أن يكون كلهم باسم واحد . هذا رأيي !

ان كل الناس يعانون الفرقة ، والانفصام ، والابتعاد عن الآخرين ، وعن أنفسهم . أما أن نحاول تفتيت ذلك الابتعاد ، فنفوس الناس جبلت على قطيعة المشاعر . ان ما في متجري من مال وتجارة يهمني ، ويلصقني به ، فلا أفكر في البحث عن أخي الغائب . ان حياة أخي ربما فيها مما لا أعلمه .. ربما كان فيها مال ، أو جاه ، أو حتى حب .. كل ما فيها شيء يجذبه اليه فلا يبحث عن أخيه . الحب أيضا تحول الى فرقة ، وبعد... كشيء مادي بحت .

انني أترك متجري هذه الأيام .. أهمله ولا أهتم به في لحظات المساء حتى تمتلىء نظراتي بوجه تلك الفتاة التي غدت شغلي الشاغل ، ليس لأنني أتعلق بها . أبدا .. هذا وهم . بل لأنها أعجبتني .. شدهتني ملاحتها ، وتناسق جسمها ، وطولها ، وأريد أن « أمتلك » كل هذا الجمال .

مجرد امتلاك كما امتلكت المتجر بحدب ، ورغبة . أود أن أمتلك هذه البنت بحدب ورغبة . لأكون صاحب متجر ، وزوجة حلوة جميلة .

أنا أعرف أنني اذا امتلكت الزوجة سأبصرها مع مرور الأيام متجرا قديما قد أستطيع تطوير بضاعتي فيه . لكني لا أقدر على تطوير متجري في البيت .

وغفا على تأملاته هذه . ولما تقدم الى أبي البنت كما يسميها — يخطبها لنفسه ، سألوه :

— أسرتك .. أهلك .. مدخرك .. واقعك ؟

وتضج فلسفته ثانية ، ويجيب : لا أهل .. لا أسرة .. لا مدخر الا رأس مال المتجر (بلا رصيد) .. لا واقع . انني أريد أن ابني واقعا لنفسي ، أو أهرب من الواقعية .

— وسألوها : ترضينه .. تتزوجينه ؟

— وأجابت : أنا أتزوجه ؟! مستحيل . عينه طويلة ، قليل أدب ، مهنته دائما « البحلقة » في نوافذ الجيران ، شكله يا لطيف .

وجاءه الجواب المؤلم الممزق : آسفون .. لقد رفضت صاحبة الشأن ، فازداد استغرابه .

هذا العصر الذي يعيشه لا يقيم وزنا ، واعتبارا لرأي البنت . هل يسبقون الزمن ؟

ولكنه يريد موافقتها هي فعلا .. هي وحدها !

ولأول مرة في حياته يبكي ، ويبكي .. ويفغر الفاه دهشة . فقد رآها في المساء في الموعد نفسه تراقبه ، وترصد حركاته ، وعينه الطويلة .

وترك المكان . اختار متجرا آخر بعيدا ، وهو يجتر آلامه .

وقال له الناس : « البنات على قفا مين يشيل » ، ولا يهمك !

كل الناس أصبحوا يعرفونه . كل الناس سمعوا حكايته فجاءوا يقولون له : ولا يهمك . خيرها في غيرها . انهم يجيدون دائما الحديث عن القطيعة !

ولصق جراحه من جديد ، وتقدم الى فتاة رشحها له بعض الذين أرادوا أن يكونوا زبائنه الدائمين ..

البقية على الصفحة (٤٩)

صيانة النفاثات

عمل دائب وجهد ضخم يتضافران على جعل الطيران النفاث من أفضل وسائل السفر وأوفرها راحة وسلامة .

في عام ١٩٥٨م حلقت في الجو أول طائرة نفاثة تستطيع أن تقطع المسافة حول العالم في أقل من يوم واحد ، وكان ذلك فاتحة عهد جديد من عهود الاتصال البشري ، وبداية انطلاقة مشرقة في عالم الطيران .

ومن المسلم به الآن ، أن السرعة والسلامة والراحة ، على الرغم من كونها على جانب كبير من الأهمية ، أصبحت أمورا عادية يؤمنها الطيران النفاث للمسافرين . ولكن أحدنا قلما يدرك مدى الجهود الفنية الضخمة التي تكمن وراء هذه الأمور والحرص على مستواها .

ان أعمال الصيانة والتوضيب ، الدائبة على مدار السنة ، تعتبر من المهام الرئيسية التي توليها شركات الطيران الكبرى فائق عنايتها وجل اهتمامها . وهذه الشركات غنية بمرافق الصيانة التي تمتلكها ، الا أن ثروتها الحقة تكمن في رجالاتها من فنيين واداريين ممن يتلقون برامج تدريبية واسعة النطاق ، يدأبون بعدها ، في تلك المرافق ، على جعل الطيران النفاث من أفضل وسائل النقل الجوي وأوفرها راحة وسلامة .

صيانة شاملة على مدار السنة

عند هبوط طائرة نفاثة ضخمة في مطار دولي يراعى توجيهها في اتجاه ملائم تسهل معه معاينة أجزائها ، وتفقدها بسرعة وحسب قواعد السلامة المرعية .

وفي بعض المطارات الدولية الحديثة ، تدخل الطائرة ، القادمة حظيرة مسقوفة كاملة التجهيز ، حيث يكيف هواؤها بواسطة خرطوم من المطاط قطره اثنتا عشرة بوصة ، ثم يهرع اليها الموظفون الفنيون للقيام بأعمالهم التفقدية الروتينية ، كل حسب اختصاصه . ويعنى هؤلاء أكثر ما يعنون بما يبلغ عنه ملاحو الطائرة مما يكون قد اعترضهم من خلل أثناء رحلتهم . فيقوم الميكانيكيون بفحص دقيق للطائرة يشمل محركاتها ، وجهاز هبوطها ، وعجلاتها ، وفراملها ، وجناحيها ، وهيكلها ، ويتأكدون من أن كل جزء من هذه الأجزاء في حالة جيدة ، وان الطائرة على استعداد لأن تتابع رحلتها ، أو أن تبدأ رحلة جديدة .

وتتجمع حول الطائرة سيارات عديدة تمتد منها خراطيم وأسلاك كثيرة متنوعة ، تمدّ الطائرة بالكهرباء لانارتها أثناء صيانتها ابقاء على بطارياتها ، وتملأ خزاناتها بما يلزمها من الزيت والماء ، بينما ينهمك فريق آخر من العمال



خبير فني يفحص جهاز اللاسلكي في نفاثة أثناء صيانتها في الحظيرة المخصصة لذلك .

يقوم هذان المهندسان باستبدال ضاغط دوامي بعد أن اكتشفا أن الزيت كان يتسرب منه .



داخل الطائرة في تنظيف قاعة الركاب واعادة ترتيبها ، بالاضافة الى تنظيف مرافقها الصحية تنظيفا شاملا .

وتعتبر اعادة تنظيم المقاعد من أبهظ عمليات الصيانة كلفة ، فان خمسا من كل ثماني عشرة طائرة تحتاج الى ذلك قبل بدء كل رحلة ، تبعا لعدد ركابها . وقد تمرّ الطائرة بهذه العملية ثلاث مرات في اليوم الواحد ، ويتوقف ذلك على عدد رحلاتها .

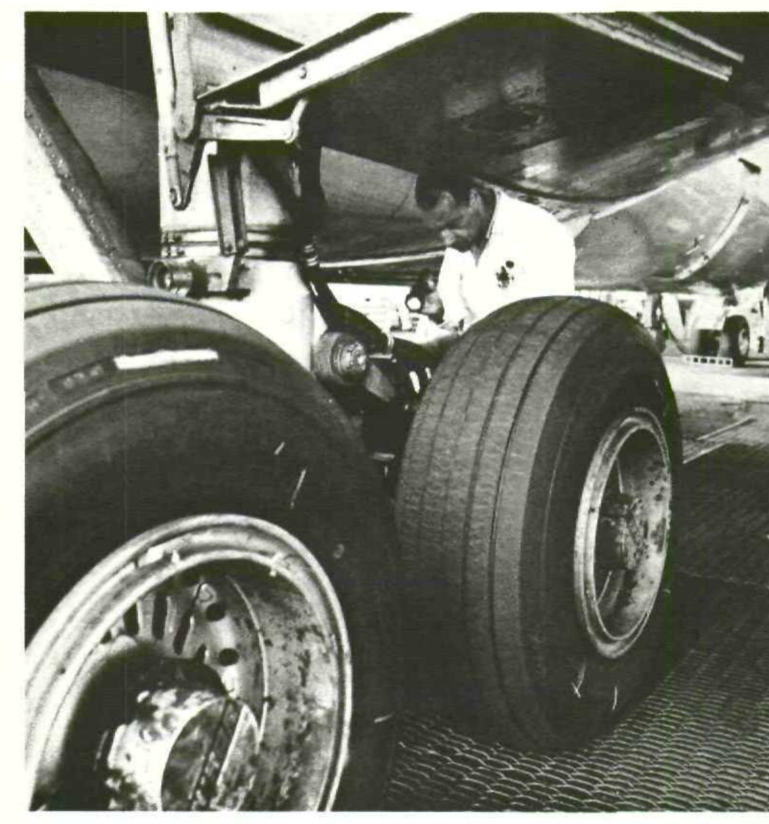
هذا وتجرى خدمات صيانة الطائرات النفاثة على أربع مراحل رئيسية ، هي :

١ — الخدمة في المجثم : وتجرى على الطائرة بعد نهاية كل رحلة . وهي تستغرق عادة أربع ساعات ، وتشمل الكشف عن الوقود وضبط المحركات ، وتغيير العجلات ، وفحص الفرامل وضبطها ، والتأكد من عدم وجود أي تسرب من أي من أجزائها .

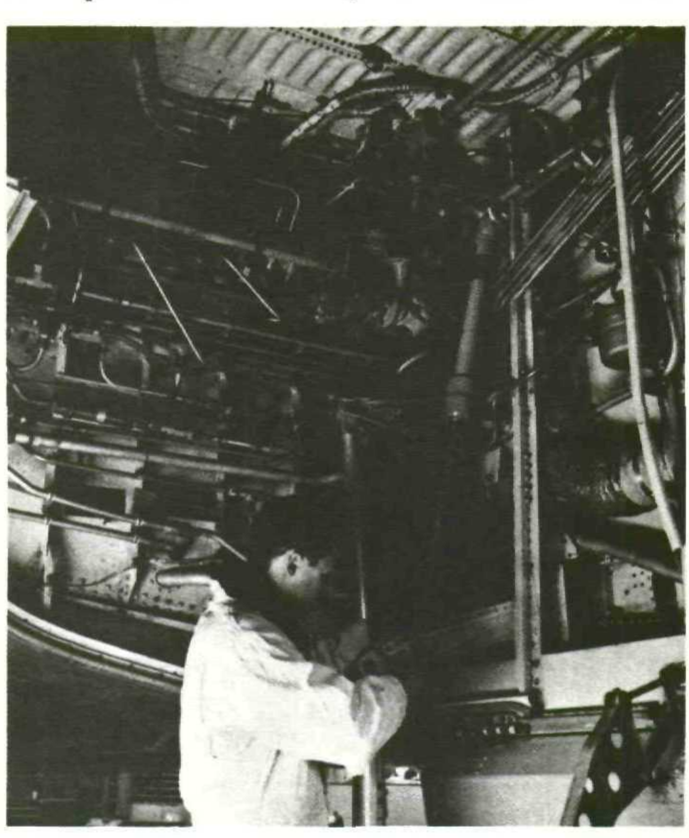
٢ — الخدمة في الحظيرة : وتستغرق حوالي ست ساعات ، وتجرى على الطائرة كل ١٥٠ ساعة طيران ، وهي أكثر شمولا من سابقتها اذ تشمل تغيير المقاعد والسجاد ، وتجديد الصبغ ، وضبط المحركات .

٣ — الفحص الدوري الشامل : ويستغرق حوالي ثماني عشرة ساعة ، ويجرى على الطائرة كل ٦٠٠ ساعة طيران، وهو يشمل فحص مختلف أجزائها وأجهزتها الكهربائية والميكانيكية ، ومضخات الوقود وأجهزة الضبط الجوي اللاسلكية . ويتم كل ذلك بدقة وعناية فائقتين .

٤ — الصيانة العامة : وتجرى على الطائرة كل ٦٠٠٠ ساعة طيران ، في احدى



مهندس ميكانيكي يفحص تروس تعشيق الهبوط الرئيسي لطائرة نفاثة وذلك بعد أن أتم فحص العجلات .



ميكانيكي آخر يجري تصليحا ضروريا على جهاز ضبط الحركة في هذا الباب .

قواعد الترميم الخاصة حيث تفك أجزاء الطائرة بكاملها تمهيدا لفحصها واصلاحها أو تجديدها ، ثم يعاد جمعها وتركيبها ، وبالتالي يجرى تجريب الطائرة قبل السماح لها بالطيران مرة ثانية . وفي تلك القواعد تستبدل المحركات التي قد تتناقص قوتها أو قدرتها بمحركات جديدة .

ترميم كلي باهظ التكاليف لكنه ضروري

عندما تكمل طائرة ما نفاثة ٦٠٠٠ ساعة طيران ، ويكون ذلك عادة خلال سنتين تقريبا ، ترسل ، دون حمولة ، الى احدى قواعد الصيانة والترميم المجهزة تجهيزا كاملا ، حيث ينشغل بها ما يزيد على ١٢٠ عاملا فنيا . وتستغرق هذه العملية المتشعبة المراحل مدة خمسة أيام متتالية تخرج الطائرة بعدها وكأنها صنعت من جديد . وتقدر تكاليف تلك العملية بنحــو ٦٧٥٠٠٠ ريال سعودي ، الا أنها ترتفع أحيانا الى ما يقارب ٩٠٠٠٠٠ ريال سعودي ، وذلك يعتمد على نوع النفاثة المراد ترميمها واصلاحها ، ونوع ذلك الترميم والاصلاح .

وتجرى عملية الترميم على المراحل التالية :

١ — التنظيف : ويبدأ عادة بعد مراجعة سجلات الطائرة وفحص محركاتها ، وجناحيها ، وبعض أجزائها الأخرى ، وتفريغ خزانات الوقود وتهويتها وتنظيفها . وتستغرق هذه العملية فترة تتراوح بين ثماني ساعات واثنتي عشرة ساعة تستعمل فيها كمية قد تصل الى ٣٠٠ غالون من مختلف أنواع محاليل التنظيف المزيلة للكربون والأوساخ . وبعد ذلك تجر الطائرة الى مكان الترميم تمهيدا للمرحلة الثانية .

٢ — الفك والتركيب : ان كل جزء من الطائرة النفاثة التي يجرى عليها الترميم يخضع لفحوص واختبارات دقيقة ، كما لو كان يصنع لتوه . ويبدأ عادة بفك محركات الطائرة وجهاز هبوطها ، يليها فك المقاعد ، والأرضية ، والجدران الداخلية ، ولوحة القيادة ، وأجهزة الضبط الجوي اللاسلكية والالكترونية ، وارسالها الى الورش المعنية لفحصها وضبطها وتصليحها ، أو تجديدها .



هيكل طائرة نفاثة تحت الترميم ، وقد فكت محركاتها وطرفا جناحيها .



ورشة الأجهزة الدقيقة والألكترونية في احدى قواعد الصيانة والترميم .

ثم تفحص تمديدات الطائرة الكهربائية — وهنالك ما يبلغ طوله حوالي ٦٥ كيلومترا منها — وكذلك حوالي ٣٤٠ مفتاحا كهربائيا ، ومثلها من وحدات قطع التيار ، وحوالي ١٥٠ ضوء تحذير ، وبضع مئات من الأزرار والمفاتيح الأخرى الموجودة في غرفة القيادة .. كل هذه تفحص فحصا دقيقا يحدد بموجبه ما يلزم كلاً منها من تصليح أو تجديد . هذا بالاضافة الى فحص الأنابيب والخراطيم المختلفة ، التي يجري فيها الزيت وغيره من السوائل المستعملة في التحكم بأجهزة تسيير الطائرة . وكثيرا ما تستعمل أشعة « أكس » في الكشف عن التشققات الدقيقة التي يخشى وجودها في بعض الأجزاء . أما بالنسبة للنوافذ فانها تستبدل كلها بأخرى جديدة ، كما تنجد المقاعد وتصبغ من جديد اذا كانت في حالة تدعو لذلك .

بعد ذلك تكون كل أجزاء الطائرة قد أعيد ترميمها أو ابدالها باشراف عـدد من الخبراء والفنيين ، ما عدا المحركات .

٣ — ترميم المحركات : يحتاج عشرة رجال مدة مقدارها احدى عشرة ساعة من العمل المتواصل لفك محرك واحد من محركات الطائرة النفاثة ، والى أربع عشرة ساعة أخرى لتوضيبه وتركيبه . وتبلـغ تكاليف انجـاز هـذه المرحلة حوالي ٢٢٥٠٠٠ ريال سعودي .

ان الأجزاء ذات الحركة السريعة تتأثر كثيرا بحرارة المحرك المرتفعة ، مما يعرضها للتلف . ولتفادي ذلك ، تزيت المحركات باستمرار ، الأمر الذي يترتب عليه اجراء فحوص كثيرة دقيقة على أجهزة التزييت . وكذلك تفحص بدقة بالغة غرفة الاحتراق ، والمضخات ، وأنابيب التشحيم ، وغيرها من الأجزاء الأخرى . ثـم يرسل ما يتقرر اصلاحه من تلك الأجزاء الى الورش المختصة ، وعند عودتها من الورش تفحص ثانية للتأكد من صلاحيتها التامة .

وفي ورشة التركيب ، تجمع تلك الأجزاء بعد أن تكون قد عيرت وضبطت بواسطة أجهزة ألكترونية ، ثـم ترسل الى ورشة أخرى حيث تجرى عليها فحوص معينة للتأكد من تناسب عمل كل منها مع ما تظهره العدادات الخاصة به في لوحة قيادة الطائرة ، ثم تركب تلك الأجهزة في أمكنتها من المحرك مع ما يتبعها من أجهزة ضبط السرعة والوقـود الى الأسلاك الكهربائية وغيرها ، ثم يرسل المحرك كاملا الى مكان خاص حيث يجري فحصه وتجريبه فترة من الزمن قبل اعادة تركيبه في مكانه من الطائرة .

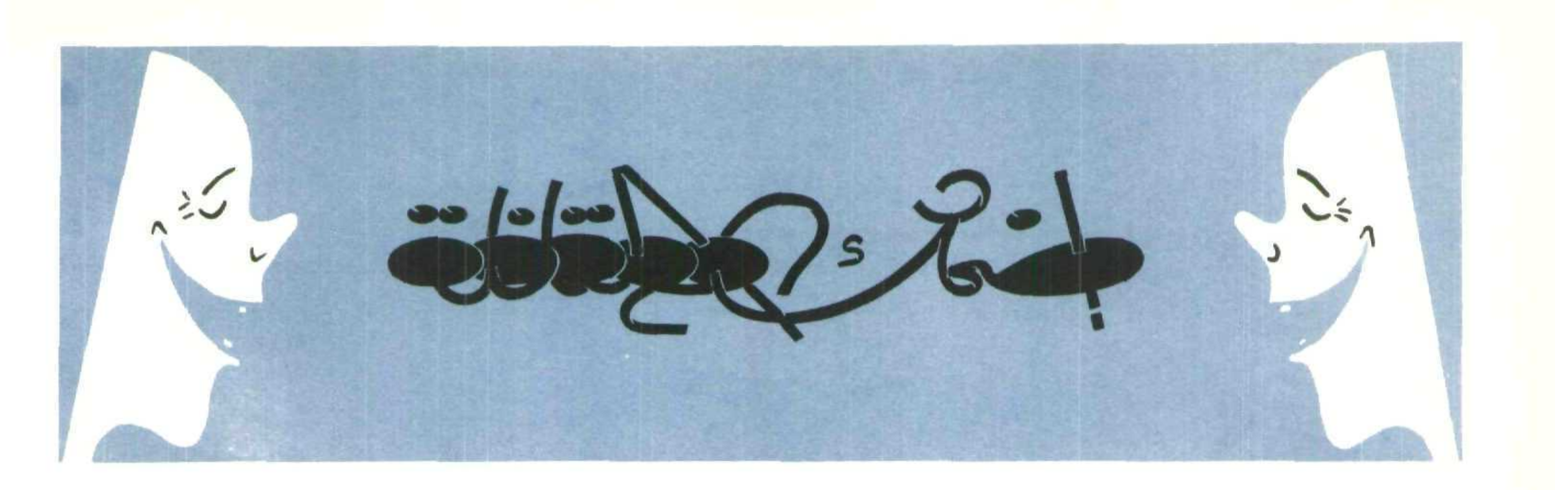
٤ — مرحلة التجريب النهائي : بعد أن يتأكد الفنيون المختصون من أن أجزاء الطائرة النفاثة اصبحت كاملة التركيب وان كل جزء فيها على ما يرام ، يعدونها لمرحلة الطيران التجريبي التي تستغرق عادة فترة تتراوح بين ساعتين وثلاث ساعات يفحصون خلالها كل جهاز من أجهزتها ، ويتأكدون من سلامة وضعه ، ثم يعودون بها الى القاعدة فيعمدونها للاستعمال بمعدل يتراوح بين ٧ و ١٠ ساعات طيران كل يوم .

كان هذا عرضا مختصرا لعمليات صيانـة الطائرات النفاثـة وترميمها ، اذ أن هنالك خدمات أخرى ثانوية لم يرد ذكرها تدعم هذه العمليات وتعززها ، منها ابتكار طرق وآلات جديدة لتطوير عمليات الصيانة والترميم . ويعكف الخبراء والمهندسون هذه الأيام على تصميم مرافق صيانة أرضية تفحص فيها أجهزة النفاثات الدقيقة بعد تعريضها لضغط وارتفاع عاليين مصطنعين . كما ان آلاف الفنيين والاداريين المؤهلين يسهرون دائما على جعل الطيران النفاث مفخرة تقدم الانسان وتحضره في العصر الحديث .


مهندس يفحص فراشات ضاغط خاص بأحد محركات طائرة نفاثة .

ح. ح.

باذن خاص من مجلة «أويل باور»



غيّر رأيه

المعلم : أين تحب أن تقضي أجمل عطلة ؟
التلميذ : في القسطنطينية .
المعلم : تفضّل واكتبها على اللوح .
التلميذ : لقد غيرت رأيي ، أريد أن أقضي العطلة في حلب .

كالعادة

أخذت المعلمة طلاب صفها الثالث الابتدائي في نزهة . وهناك رأوا عصفورا فسألها أحد التلاميذ :
هل هذا كنارى أم قبرة يا معلمتي ؟ فارتبكت المعلمة وقالت : أظن انني لا اعرف . فتصدى لها التلميذ قائلا : يمكننا معرفة ذلك .
المعلمة : كيف ؟
التلميذ : كالعادة ، نجري تصويتا على الجواب .

عندما تسوق الزوجات

دخل الزوج الكراج في المساء ، فوجد الباب ، الذي هشمته زوجته باستعمالها دواسة البنزين بدلا من دواسة الفرامل ، لا يزال على حاله . فرجع الى البيت واتصل هاتفيا بالنجار صائحا : لقد قلت لي انك ستحضر عند الظهيرة لتصليح باب الكراج ، فلماذا لم تف بوعدك ؟!
النجار : لقد فعلت يا سيدي ، لكن اسأل زوجتك ، إذ ربما ساقت السيارة بعد الظهر !

أنا ادرى منكم

ذهبت الحماة الى ضفة النهر ، فزلقت رجلها وسقطت في الماء وكادت تغرق . فنادوا زوج ابنتها فخلع ملابسه واتجه يبحث عنها بعكس التيار . فقالوا له : ان الجثة في الماء نزولا لا صعودا .

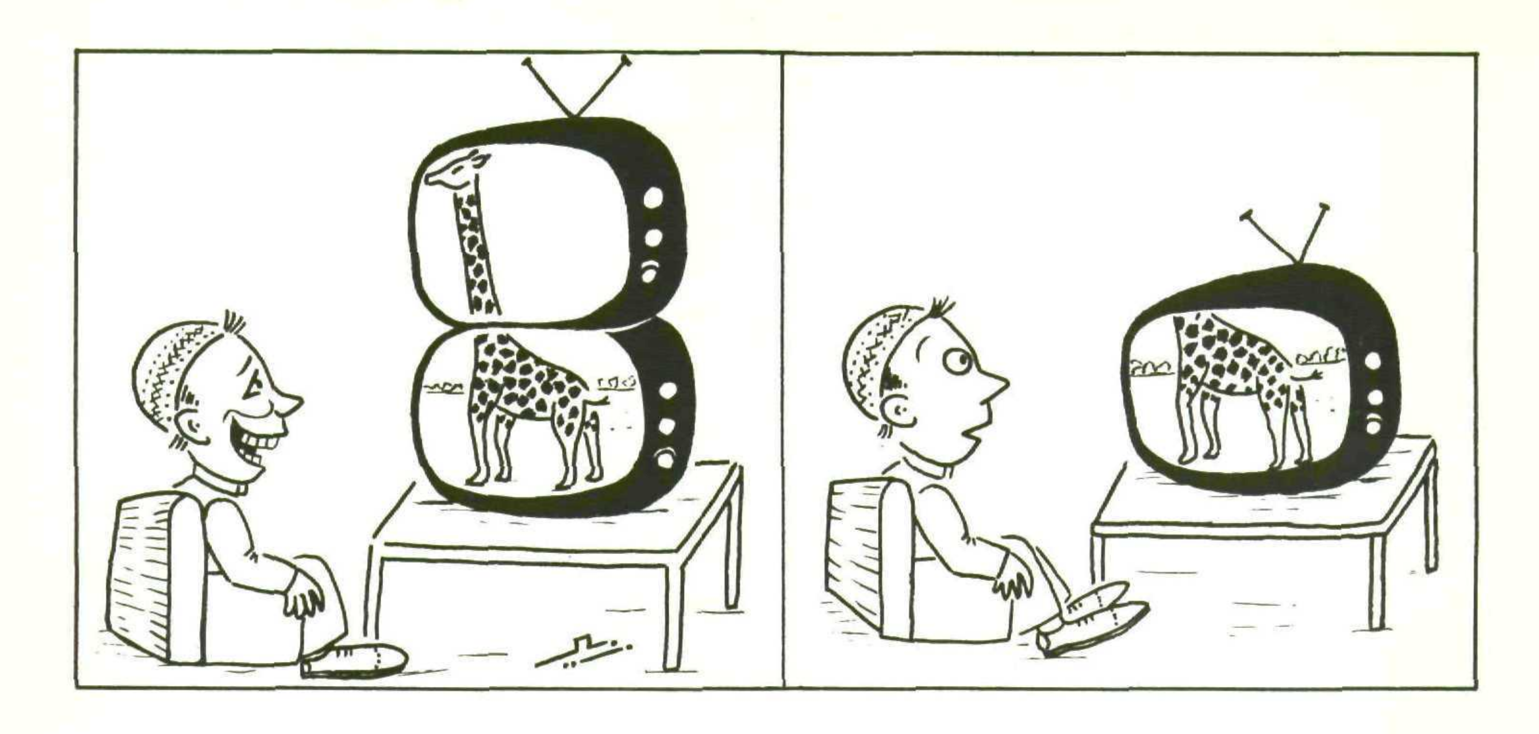
فأجابهم : أنتم لا تعرفون طباعها فهي دائما مخالفة ، وأنا أدرى منكم بذلك .

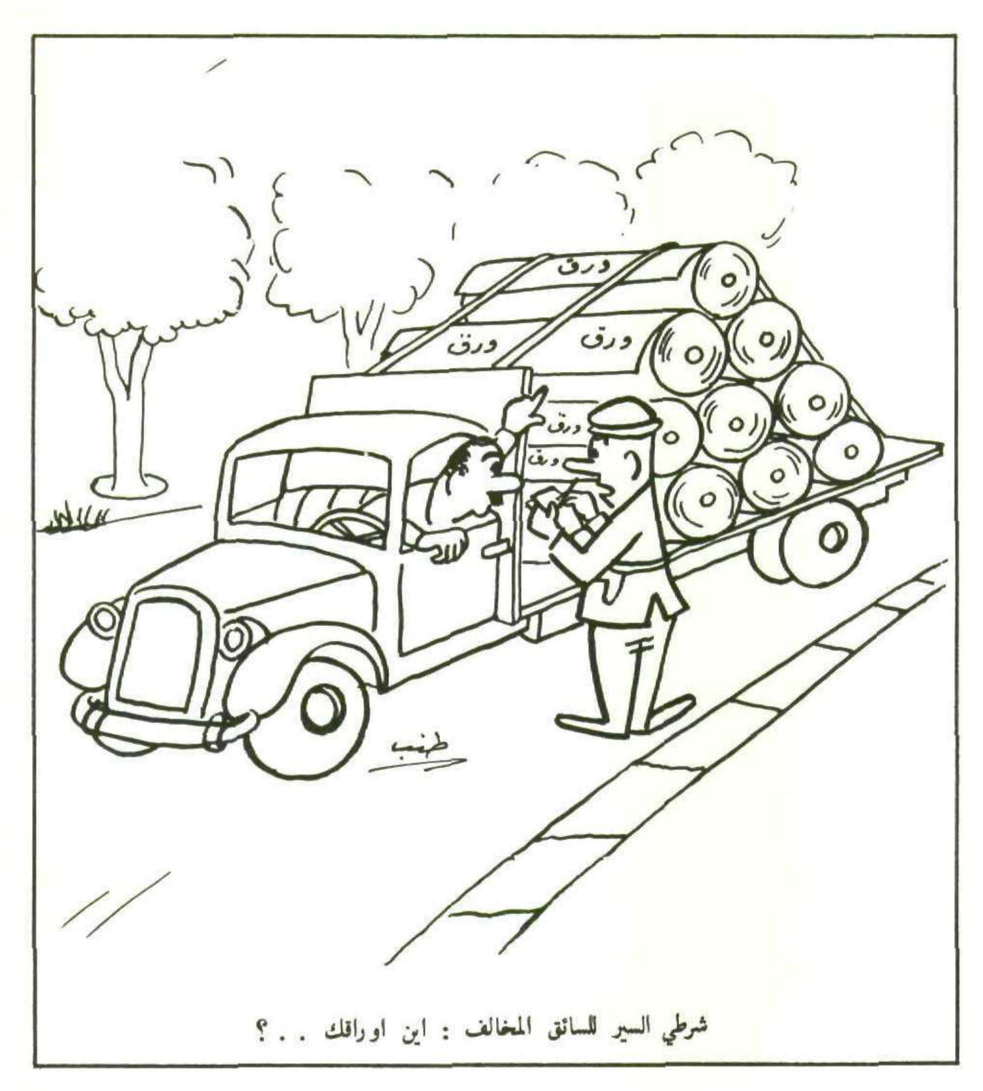
أحسنت

طلب المدير من سكرتيرته ألا تعطيه قائمة بالأرقام الا بعد أن تجمع كل عمود مرتين . وفي صباح اليوم التالي جاءت اليه مبتسمة وقالت : لقد جمعت عمود الأرقام هذا عشر مرات . فقال لها : أحسنت ، أنا أحب أن تكون سكرتيرتي دقيقة . لكنها أردفت قائلة : وهذه هي الأجوبة العشرة .



التائه في الصحراء لرفيقه : انني مطمئن من النجاة لأنني حلمت انني سأموت غرقا





شرطي السير للسائق المخالف : اين اوراقك . . ؟

هلا سكتم قليلا

سقط متسول على الأرض في حالة اغماء . فتجمهر الناس من حوله وأخذ كل واحد يبدي رأيه : فقالت سيدة عجوز : أعطوه قليلا من المال . وقال آخر : أجروا له تنفسا اصطناعيا ، وقال ثالث : بل انقلوه الى المستشفى . وهنا قاطعته العجوز قائلة : بل أعطوه شيئا من المال وفجأة صاح بهم المتسول قائلا : هلا سكتم قليلا لتنصتوا الى ما تقوله هذه السيدة الفاضلة ؟

مباراة

الفشار الأول : لقد حضرت فيلما حربيا كان غاية في جودة الاخراج لدرجة أن أحد المتفرجين في الصف الأول خرج مجروحا .

الفشار الثاني : وأنا حضرت فيلما كان بطله نشالا وقد أجاد الدور لدرجة أن المتفرجين في الصف الأول نشلت منهم فلوسهم .

نسيان

المريض : اني أقاسي من مرض النسيان يا دكتور

الطبيب : منذ متى أصابك ؟

المريض : أصابني ماذا ؟

بقية القصة المنشورة على صفحة (٤١)

انشقت الأرض وأخرجت له زبائن دائمين .. لماذا الآن ؟

وأخذ ... ورد !

تريث .. سنعطيك الجواب .

تمهل .. انهم يسألون عن أخلاقك وحياتك .

ولم يحتمل .. اتجه نحو البيت الثالث في قائمة الترشيحات ، ونقر الباب .. جئت أطلب يد ابنتكم !

– آسفون .. لقد رفضك بيت قبلنا .

وفي متجره .. يأتيه طفل يشتري منه نصف درزن صلصة ، ويعطيه القيمة ، وهو يقول :

– ليش ما زوجوك ... ليش ما يحبوك البنات ؟!

ويقفز خلف الطفل ليضربه .. يجري وراءه فلا يلحق به ، ويعود الى متجره .. وبعد الغروب يجلس مهموما ، حزينا ، و ... « يعمر شيشة تنباك » ويتوه وراء أفكاره ، وتقف أمامه امرأة متلفعة بردائها الأسود تقول له : أعطني صابون .

ويحدق في قوامها ، بنظراته المفجوعة .. انها هي .. صاحبة النافذة !

وتعطيه بضعة قروش ، وتتوقف ، وتتلجلج ، وتقــول :

– ما عندك صابون لغسل الوجه ؟

ولا تنتظر اجابة .. انها تفر هاربة ، وهـو صريع ذهول مر قاتم .

ان هذه البنت قاتلة .. قتلته ، ومزقته .. سرقت النبض من عروقه لتجعل كلمتها تعيش في ذلك النبض المسروق .. كلمتها : ما يحبوك البنات !

وتحولت أيامه الى استغراق .. ثم الى سرحان ، وابتعد عن الناس .. عن الحركة .. أصبح لا يسمع من ضجة الناس سوى عبارة واحدة يزعق بها الأولاد !

وتحول الاستغراق والتهويم الى صراخ .. أصبح يصرخ .. فجأة يجد في نفسه رغبة للصراخ :

لا .. أنا ما أحب البنــات !

وارتبك المتجر .. يوما يفتحه ، وعشرة أيام يتركه مقفلا .. كهذه الدنيا التي أقفلت كــل أبوابها في وجهه . انه يمشي .. لا يتعب ، كل أيامه خطوات حافية على الأرض !

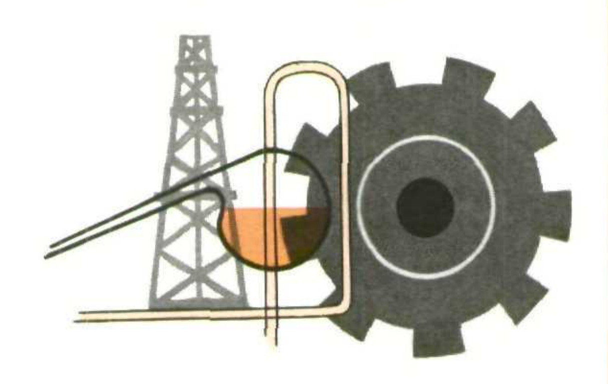
ان خطواته الحافية تصرخ معه .. تردد فلسفته القديمة التي قالها وهو عاقل في دنيا مجانين . يعيدها اليوم وهو مجنون في دنيا حافية الخطوات :

– ان كل الناس يعانون حرقة الفرقة والوحدة والانفصام والابتعاد عن الآخرين ، وعن أنفسهم !

ان أحدا لا يصدقه . وهو عند الناس مجنون بالحب .. لأن البنات لا يحببنه !

كلهن رفضن الاقتران به ... هل هذا صحيح ؟

ومرة أخرى يحل الظلام المحمل بالأتربــة والغبار ، ويعجن ساعده الأيمن تحت رأسه ، ويغط في النــوم ، وفي أذنه صراخ يتعالى دائما – وباستمرار : ما يحبــوك البنات !





هل من جديد ؟

الغاز لمعالجة انسداد الشرايين

تتعرض الشرايين أحيانا الى انسداد قد يكون سببه تراكم المواد الدهنية فيها وقد يؤدي هذا الانسداد الى اضطراب في القلب وأحيانا في الدماغ . وفي هذا المضمار ، توصل بعض الأطباء حديثا الى اجراء عملية لازالة هذه المواد اضطروا خلالها الى ايقاف القلب عن الحركة والاستعانة بجهاز آلي لضخ الدم . ثم ربط الأطباء طرفي الشريان المصاب وحقنوا فيه كمية من غاز ثاني أكسيد الكربون المضغوط أدى الى اذابة المواد الدهنية في الشريان . وقد أجريت هذه العملية لامرأة مريضة أوفت على الأربعين . وكانت العملية ناجحة لدرجة أن المريضة استطاعت أن تغادر السرير بعد أسبوع من اجراء العملية . وقال ناطق باسم الأطباء الذين أشرفوا على العملية أن استعمال الغاز كان أنجح اجراء استعمل حتى الآن في تنظيف الشرايين من المواد الدهنية التي تؤدي الى انسدادها .

علاج لسرطان الدم

صرّح أحد الأطباء أن أحد المستشفيات توصّل الى ايجاد علاج لسرطان الدم . وذلك بتجويع الخلايا المصابة الى أن تموت بقطع حوامض معيّنة عنها توجد عادة في البروتينات . وأضاف الطبيب المذكور ، ان هذا العلاج قد أجري على بعض الحيوانات وقد شفي المئات منها . كما أجريت التجارب ، في الوقت نفسه ، على ثلاثة أشخاص شفي اثنان منهما . أمــا الثالث وهو طفل في التاسعة من عمره فلا يزال تحت العلاج يتماثل الى الشفاء .

حنجرة اصطناعية

« مرحبا ! كيف حالكم ؟! »

هكذا قال رجل فقد قدرته على الكلام مدّة ثلاثة أشهر عندما استقبل وفدا من الصحفيين الذين هرعوا اليه أثر العملية التي أجريت لحنجرته والتي استطاعت أن تعيد اليه القدرة على الكلام . فقد زرعت لـه حنجرة اصطناعية بعد أن فقد حنجرته الطبيعيّة في أواخر السنة الماضية . وقد حقق الأطباء بهذا الابتكار نصرا طبيا باهرا ، وهم الآن يعتقدون انه في الامكان استبدال حنجرة انسان ما مصابة بالسرطان بأخرى اصطناعية ، تفضل الأجهزة الألكترونية التي يستخدمها حاليا المصابون بهذا المرض الخبيث ، فتعيد اليهــم أصواتهم ، ولا تترك عليهم أي أثر من آثار المرض .







الحركة الأدبية في العالم العربي

• مجمع اللغة العربية في دمشق من أنشط المجامع العلمية في العالم العربي . تشهد بذلك آثاره الكثيرة من كتب التحقيق والمعاجم والمصنفات المؤلفة . وقد أصدر المجمع في الفترة الأخيرة طائفة من الكتب الجليلة منها كتاب « الاعرابيات » للعلامة الراحل خليل مردم بك ، وقد حققه وشرحه نجله الأستاذ عدنان مردم بك بالاشتراك مع الأستاذ أحمد الجندي . و « تراجم الأعيان من أبناء الزمان » للحسن بن محمد البوريني وقد حققه في جزءين كبيرين الدكتور صلاح الدين المنجد . كما أصدر المجمع الجزء الأول من مخطوطة « ديوان الفرزدق » بمقدمة للدكتور شاكر الفحام ومقتطفات من كتاب « زجر النابح » لأبي العلاء المعرى من تحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي والجزء الثالث والأخير من كتاب « الجامع في أخبار أبي العلاء المعرى وآثاره » من تأليف الأستاذ محمد سليم الجندي وتحقيق الأستاذ عبد الهادي هاشم .

وفي الوقت عينه حقق الأستاذ عمر رضا كحالة كتاب « تاريخ المعرة » للأستاذ سليم الجندي وأخرجه في جزءين كبيرين .

• ومن كتب التراث التي حققت أخيرا بأمانة وتدقيق وتوسع في الشرح والتعليق كتاب « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري . وقام بجهد اصداره على هذا النسق العلمي الرصين الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، الذي أصدر أخيرا الجزء الثامن من « تاريخ الطبري » .

• « مذكرات طه حسين » هي الحلقة الجديدة التي أكمل بها عميد الأدب العربي ما كان بدأه من التاريخ لحياته في كتاب « الأيام » بجزأيه . وهي تتناول شبابه الباكر وأول عهده بالدراسة الجامعية في باريس وحياته في العاصمة الفرنسية مكتوبة بالأسلوب الروائي الذي ألفه القراء في أدب طه حسين .

• أخرجت لجنة نشر المؤلفات التيمورية كتابا كبيرا من آثار العلامة الراحل أحمد تيمور باشا عنوانه « أعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث » أرخ فيه واضعه لعشرات من رجال الفكر في العالم الاسلامي في المشرق والمغرب كمحمد عبده وحسن العطار وعبد الله النديم وطاهر الجزائري وعبد القادر الجزائري ومحمد الخضر حسين ومحمود شكري الألوسي وأمين الواعظ وغيرهم من أئمة المفكرين الذين أهملهم المؤرخون ، على نباهة شأنهم . وقد حقق هذا الكتاب الأستاذ محمد شوقي أمين وصدر بمقدمة للأستاذ السيد محمد يوسف ودراسة تحليلية للأديب الذواقة الأستاذ محمد عبد الغني حسن . وأشرف على اخراجه الأستاذ أحمد ربيع المصري .

• أخرج الشاعر الناثر الأستاذ أمين نخلة أخيرا كتاب « أوراق مسافر » ، وهو اضمامة من المقالات الأدبية التي استوحى الكاتب موضوعاتها في أثناء أسفاره . وفيها آراء بصيرة في الأدب والحياة .

• أصدر الأديب الكويتي الأستاذ عبد الرزاق البصير كتاب « تأملات في الأدب والحياة » ، وهو مجموعة فصول وتعليقات أدبية اجتماعية ، ومثله كتاب « أحاديث في الأدب والثقافة » للأستاذ عبد الله ركيبي .

• ثلاثة من أعلام الأدب المعاصرين صدرت عنهم دراسات هي « خليل مطران شاعر الحرية » للأستاذ محمود بن الشريف و « زكي قنصل شاعر الحب والحنين » للأستاذ عبد اللطيف اليونس و « أضواء جديدة على جبران » للأستاذ توفيق صايغ . كما أخرج الأستاذ محمد طاهر الجبلاوي كتابا ثانيا عن صديقه العقاد وذكرياته معه عنوانه « من ذكرياتي في صحبة العقاد » .

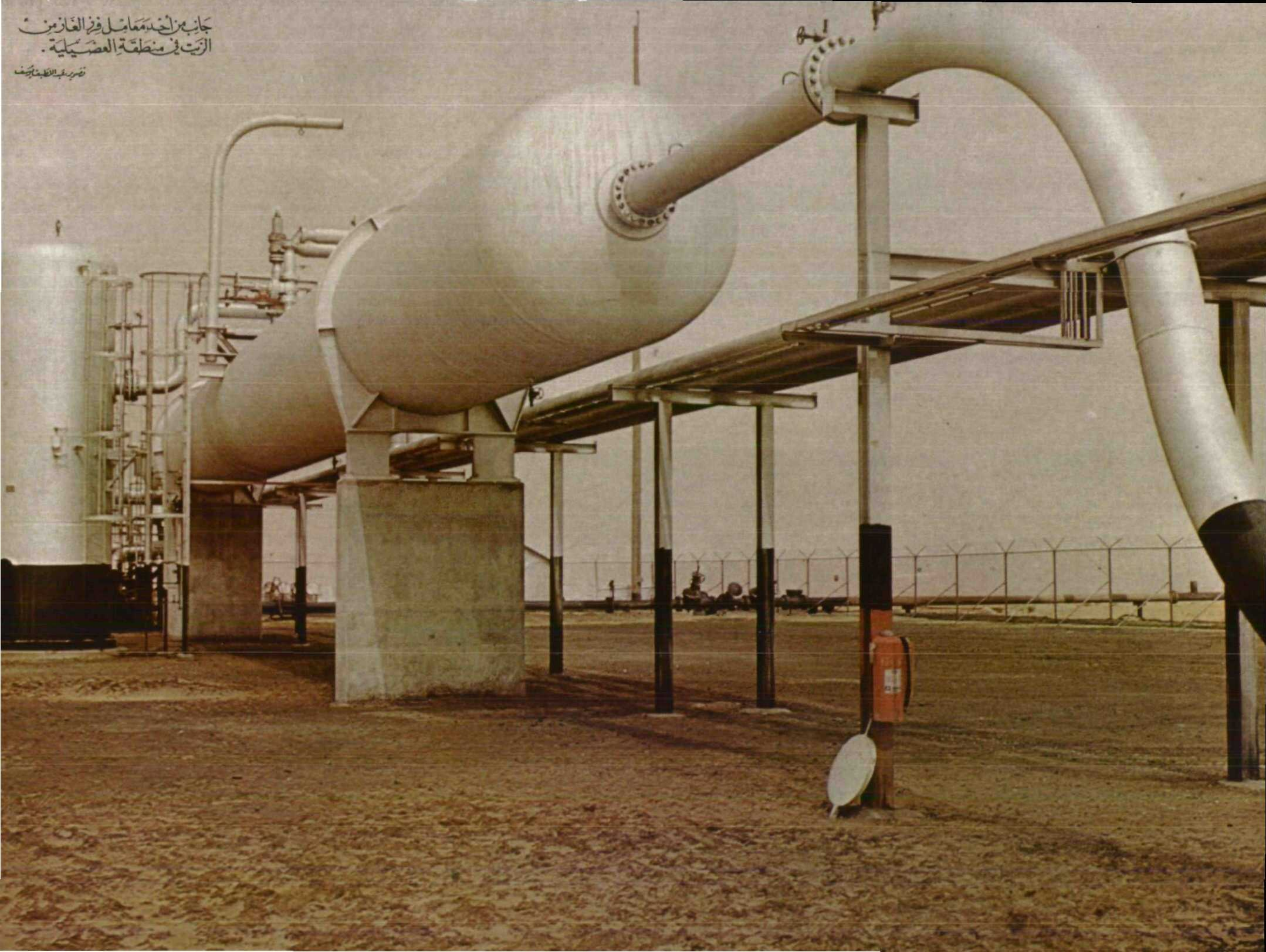
• في سلسلة الكتب الانسانية التي ألفها الأستاذ أحمد حسين ظهر كتاب جديد عنوانه « كوكب الانسانية » ، أبرز فيه عوامل الوفاق بين سكان هذا الكوكب ، ودعا الى نبذ أسباب الشقاق .

• ظهرت مؤخرا ثلاثة كتب في الدراسات النقدية هي « في القصص العراقي المعاصر » للدكتور علي جواد الطاهر و « الرحلة الثامنة » للأستاذ جبرا ابراهيم جبرا و « في القصة القصيرة » للأستاذ فؤاد دوارة .

• في الأدب الروائي بأنواعه صدرت هذه الطائفة من الكتب « ميرامار » وهي رواية طويلة للأستاذ نجيب محفوظ . و « الرحيل » وهي رواية للأستاذ عبد المنعم الصاوي تمثل الحلقة الثانية من خماسيته الموسومة « الساقية » . و « البيت الصامت » و « الباحث عن الحقيقة » وهما للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله . ورواية « حسناء الغابة » لشارل دي فريتل وترجمة الأستاذ حسين القباني ، ومسرحية « رجل لكل المناسبات » لروبرت بولت وترجمة الأستاذ محمود السباع ومراجعة الأستاذ أنيس منصور . و « البحث عن المجهول » وهي مجموعة أقاصيص للأستاذ محفوظ عبد الرحمن .

• من الدراسات الاسلامية التي خرجت أخيرا طبعة ثالثة من كتاب « أضواء على السنّة المحمدية » للأستاذ محمود أبو رية وقد قدّم له الدكتور طه حسين ، وطبعة ثانية من كتاب « الشرق والاسلام في أدب جوته » للأديب الشاعر الأستاذ عبد الرحمن صدقي و « الدراسات النفسية عند المسلمين » للدكتور عبد الكريم العثمان .

• من الكتب العلمية التي ظهرت مؤخرا « الأرض من تحتنا » لسويترتون وترجمة الدكتورين محمد يوسف حسن وفتح الله عوض ومراجعة الدكتور جلال الدين حافظ عوض و « مرضى السكري » لجروف كونكلين وترجمة الأستاذ فتحي أبو رفيعة .



جانب من أحد معامل فرز الغاز من الزيت في منطقة العضيلية.

تصوير: عبد اللطيف يوسف